(Vol. 52, Issue. 05)
AL-BAAS-EL-ISLAMI
(Feb. Mar. 2007)

شعارنا الوحيد إلى الإسلام

المجلد ٥٢

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد السادس المجلد الثاني والخمسون ربيع الأول ١٤٢٨هـ أبريل ٢٠٠٧م

- الإنسان بين الغابر والحاضر والمستقبل
- مسئولية الدعاة في أوربا و أمريكا
- الإعلام وفشل الحضارة الغربية في إنقاذ الإنسانية!
- الحضارة الإسلامية
- الخرطوم: عاصمة إسلامية أخرى تحت النار
- درجات الرسل في وحي الله
- نظرة الإسلام إلى الفقر والفقير

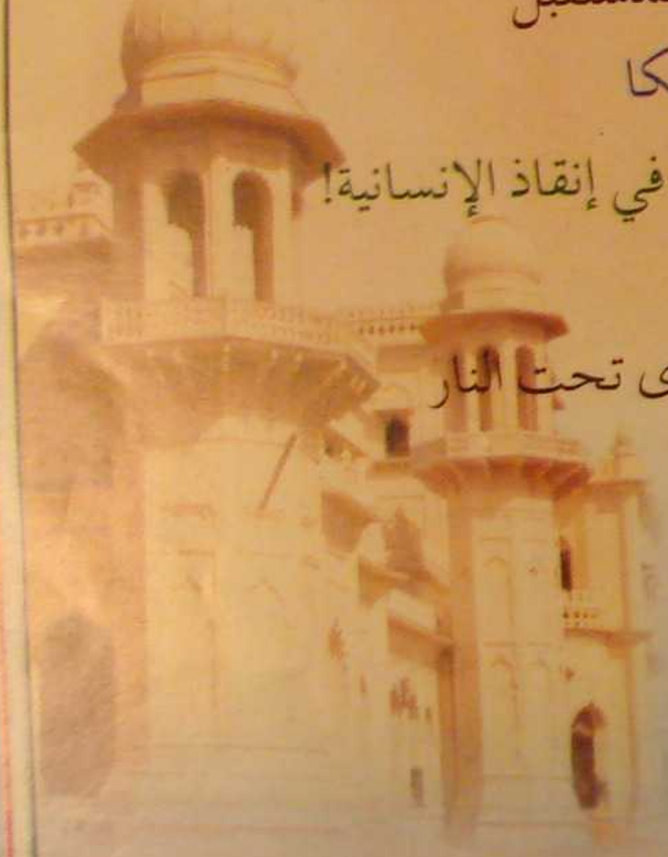

تصدرها: مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ، الهند الهاتف: ٢٧٤١٢٣٥-٥٢٢-٩١-٠٠
Albaas-el Islami,Majlis Sahafat-wa-Nashriyat, P.O.Box 93, Lucknow- 226007 (U.P. (India)
Tel : 0091-522-2741235, 2741272 Fax : 0091-522-2741221, 2741231 e- mail : theal-baas@nadwatululama.org

إصدارات جديدة:

بذل المجهود

في حل

سنن أبي داود

تأليف

الإمام المحدث الكبير الشيخ خليل أحمد السهارنفوري

(ولد سنة ١٢٦٩هـ وتوفي سنة ١٣٤٦هـ)

مع تعليقات

الإمام المحدث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي المدني

(ت ١٤٠٢هـ)

اعتنى به وعلّق عليه

الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي

نائب رئيس مجلس الوزراء لدولة الإمارات العربية المتحدة

في ١٤ مجلداً

الناشر:
SHEIKH ABUL HASAN NADWI CENTER
For Research & Islamic Studies
MOZAFFAR PUR, AZAMGARH, U.P.(INDIA).
مركز الشيخ أبي الحسن الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية

Printed & Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat

بسم الله الرحمن الرحيم

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

أنشأها :
فقيد الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني
-رحمه الله تعالى-
في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

المجلد الثاني والخمسون

○ رئاسة التحرير ○
○ سعيد الأعظمي ○
○ واضح رشيد الندوي ○

العدد السادس
ربيع الأول ١٤٢٨هـ
أبريل ٢٠٠٧م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء و دار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال ، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة و المنصوص ، و قامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، و أن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير و التجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح و التجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه ، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر ، و حاجات المسلمين و أحوالهم .

(أبو الحسن علي الحسني الندوي رح)

ALBAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS-E-SAHAFAT-WA-NASHRIYAT
P.O. Box : 93, Taigor Marg, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)
Ph.: 0522-2741235
Fax: 0522-2741221/2741231

المراسلات
البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب ٩٣ - لكناؤ (الهند)
الهاتف : ٢٧٤١٢٣٥-٠٥٢٢
الفاكس : ٢٧٤١٢٢١-٠٥٢٢

العبقري العصامي !

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده ، وما ينفع عمليا ، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق ، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية ، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة ، وفي عصر الثورة على الدين ، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين ، ومن النتائج الخاطئة ، ويطعّمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره ، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون .

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد ، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منه ما فاته من التجارب ، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة ، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً ، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب ، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق ، وقوى الروحانية والمادية - منهجاً جديداً يجدر بالغرب تقليده وتقديره ، ويضيف إلى المدارس الفكرية ، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع .

هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة و الزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم ، وهذا هو العملاق حقاً الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام .

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنويه

◆ في الهند

مائتان وخمسون روبية ٢٥٠/٠٠

ثمن النسخة : ٢٥/روبية

◆ في العالم العربي

وفي جميع دول العالم :

٢٥/دولاراً بالبريد العادي

و ٤٠/دولاراً بالبريد الجوي

***

المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات

ترسل الاشتراكات بالشيك :
باسم : "البعث الإسلامي"
(ALBAAS-EL-ISLAMI)

و ذلك بالعنوان التالي

مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ص.ب ٩٣ لكناؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS SAHAFAT
WA NASHRIYAT
P.O.Box : 93, LUCKNOW (U.P.)
Pin : 226 007 (INDIA)

***

محتويات العدد

٦/ع - ٥٢/ج ربيع الأول ١٤٢٨هـ

الافتتاحية :

الإنسان بين الغابر والحاضر والمستقبل — سعيد الأعظمي الندوي — ٣

التوجيه الإسلامي :

الحضارة الإسلامية — د/أحمد عبد الرحيم السايح — ٨

درجات الرسل في وحي الله — سعادة الدكتور غريب جمعة — ١٧

من كرائم النساء — د/محمد بن سعد الشويعر — ٢٧

الدعـــوة الإسلامية :

الإعلام وفشل الحضارة الغربية في إنقاذ الإنسان ! — د/عدنان علي رضا النحوي — ٣٣

الخرطوم : عاصمة إسلامية أخرى تحت النار — أ.د/عز الدين إبراهيم — ٤٢

الفقه الإسلامي :

نظرة الإسلام إلى الفقر والفقير — الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد — ٥٤

من التاريخ الإسلامي :

الإمام أبو القاسم القشيري حياته ، وتفسيره لطائف الإشارات — د/محمد عارف الدين الفاروقي — ٦٦

دراسات و أبحـاث :

كتاب "كليلة و دمنـــة" — د/خالد خليفة السعد — ٧٥

شبهات المستشرقين حول جمع القرآن الكريم — الأخ عبد الوكيل مسرور عبد الهادي — ٨٣

صور و أوضـاع :

مسئولية الدعاة في أوربا وأمريكا — سعادة الأستاذ الشيخ واضح رشيد الندوي — ٩٣

إصدارات جديدة :

المعتصر من آثار السنن وإعلاء السنن — قلم التحرير — ٩٧

الآثار البينات في فضائل الآيات — .... — ٩٨

إلى رحمة الله تعالى :

رحيل الشيخ صالح علي الحمود الشايع ؛ إلى رحمة الله تعالى — قلم التحرير — ٩٩

الأستاذ حسن نظامي ؛ إلى رحمة الله تعالى — .... — ٩٩

حرم فضيلة الشيخ محبوب الرحمن الأزهري ؛ في ذمة الله تعالى — .... — ١٠٠

....

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

الإنسان
بين الغابر والحاضر والمستقبل

هذا الكون وما فيه من الأنفس والآفاق إنّما خلقه الله تعالى و وزّعه بين ثلاث مراحل من الزمان ، الزمن الأول الذي يعبّر عنه بالماضي قد مضى بجميع أحداثه ومواصفاته وأحواله وأخباره ، مما سجله قلم التاريخ ، وتحدث عنه كتاب الله وتعالى ضمن الوقائع والأحداث التي جرت في الأزمان الماضية ، وتضمنت حكايات عن المجتمعات البشرية ، وأخباراً وآثاراً للأنبياء والرسل عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام ، الذين بعثهم الله سبحانه وتعالى لتوجيه الإنسان إلى أساليب العيش السليمة وأداء رسالة الدعوة إلى الله تعالى في الحياة والمجتمع .

لقد تناول كتاب الله تعالى أحوال الماضين من الأمم والشعوب وأقوام الأنبياء والرسل ، فمنهم من انحرف عن الطريق القويم من جرّاء التمرد والعصيان اللذين لا يفارقانه استجابةً للطبيعة المعوجة التي كانت نتيجة اتباع النفس الأمّارة بالسوء والشيطان المطرود من جنة الله تعالى ، عندما رفض السجود لآدم عليه الصلاة والسلام ، فقال فيما رواه الله في كتابه العظيم بصورة حوار بينه وبين الشيطان الرجيم في

سورة الأعراف ، فلما تساءله الله تعالى وقال : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ * قَالَ : أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ * خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ * وَّخَلَقْتَهُ مِنْ طِيْنٍ * قَالَ : فَاهْبِطْ مِنْهَا * فَمَا يَكُوْنُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيْهَا * فَاخْرُجْ * إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِيْنَ * قَالَ : أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُوْنَ * قَالَ : إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِيْنَ * قَالَ : فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي * لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيْمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيْهِمْ * وَمِنْ خَلْفِهِمْ * وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ * وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ * وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِيْنَ * قَالَ : اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوْماً مَّدْحُوْراً * لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِيْنَ ﴾ (الأعراف/١٢-١٨) .

هذا وصفحات التاريخ زاخرة بالماضي ، وقد كان لإبليس دور ريادي في إغواء الناس والحيد بهم عن الصراط المستقيم ، فما من شر إلاّ وقد صوّره بالخير وأغرى الناس على الالتزام به وتبنيّه ، حتى أصبح ذلك مسلكاً لجماعته وأحزابه ، وتوزعت الحياة بين الخير والشرّ من ماضٍ قديمٍ وفي حال قائم يسير عليه الركب الإنساني بخطى حثيثة ، ويظن أن الحال هو الذي ينبغي أن يسعى إليه الإنسان ويحرز كل ما يتمناه ويترقبه بأسرع ما يمكن ، ذاك لأن الماضي لا ينفعه في حاله ولا الحال يأخذ بيده ولا يغني عنه إذا أهمله أو تغافله في قليل أو كثير .

إذن ؛ كان من رجاحة العقل ونتيجة الذكاء أن يركّز المرء على الحال الذي يعيشه ويجعله من أصدق أصدقائه ، ذاك الذي يجب أن يغار عليه ويجعله مشرقاً لامع النجوم ، في

سعادة الحياة وإحراز نفعها العاجل ، إذ لا يفارقه هذا الصديق قبل أن يموت هو ، أمّا الماضي فقد مضى بجميع ما مضى ، فهو لا يملك من الأمر شيئاً ، وإنّما هي دروس وعبر ، يستطيع أن يتعظ بها ويجعلها دليلاً في مسيرة الحياة المعاصرة ، فكم من أناس يرون إلى الماضي كمرحلة طبيعية مضى بما أراد ، فهو يعيش بين الماضي الذي يتشكل في مرور اللحظات والآنات والساعات ، وبين الحال الذي يختاره ويزينه ، وقد لا يخطر على باله ما سيستقبله من زمان ، فيهتم ببنائه وعمارة أيامه المستقبلية بزاد طيب من العمل الدءوب والسعي المشكور ، يساعده فيما يريد أن يصل إليه من سعادة مزدوجة ومصير مشرق ، وقد وعد الله سبحانه بالجزاء الأوفى لقاء سعيه في الحياة الدنيا بعدما يوضع في ميزان العمل ، ويُرى ما يحتوي عليه من إخلاص النية والثقة الكاملة التي دفعته إلى هذا السعي ، فكلما كانت النية صادقة والعمل صالحاً يقرّبه إلى الله العلي العظيم ، وكلما كان مزداناً بجوهرة الإخلاص لله تعالى كان الجزاء بقدر ذلك دون نقص أو زيادة ، ولنقرأ الآية في سورة النجم ؛ يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى ﴾ .

فإذا تدبر المرء فيما يُجزي به من الجزاء الأوفى سواء في دينه ودنياه فإنه يندفع بنفسه إلى كل ما يبعثه على بذل العقل والجهد والمال والطاقة إلى بناء مستقبل يزدهر بالطهر والعفاف والعواطف المرضية التي تجعل هذا السعي جديراً

بالاختبار من الله تعالى و وضعه في صف الفائزين بهذه النعمة ، نعمة الجزاء الأوفى .

والإنسان بطبيعته ميّال إلى إعداد المستقبل لنفسه ولأجياله ، إنّه يعيش في الحال ولكنّ الماضي لا يفوت عن تصوره العام ، فيستوحي منه عِبَراً لكي يعيش سعيداً في حاضر أيامه وينتهز فرصاً لإسعاد الحياة في المستقبل ، وما ذلك إلا الآخرة التي يواجهها فور مغادرته الأولى : ﴿ وَلِلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُوْلَى * وَلَسَوْفَ يُعْطِيْكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ فإنّ المستقبل الأفضل في الحياة الدنيا يضمن سعادة المستقبل في الآخرة بمشيئة الله تعالى ، وتلك هي أمنية غالية يتمناها المسلم من غير توقف ولا انقطاع ، ولا سبيل لتحقيق هذه الأمنية السامية إلا الاعتناء الزائد بالأعمال الصالحة التي تتكفل بسعادة الإنسان المسلم في كل زمان ، وذلك هو السبب فيما إذا أردف الله سبحانه صالح الأعمال بشهادة الإيمان واليقين ، وذلك هو المعنى العظيم الذي تكرر في كتاب الله تعالى بأساليب متعددة ، بل الواقع أن القرآن الكريم بأكمله دستور واضح للحياة الإسلامية وتشكيل الحضارة الإيمانية ، التي تخطّط للمستقبل الباسم السعيد في ضوء الماضي وتجارب الحال ، وبالمناسبة تتمثل أمامنا آية من كتاب الله العظيم تشير إلى الأزمان الثلاثة التي يجتاز بها الإنسان في حياته ماضياً وحالاً ومستقبلاً ، فما أجدر أن نقرأها ونستنبط منها هذه الأحوال الثلاثة : ﴿ إِنَّ الَّذِيْنَ قَالُوْا : رَبُّنَا الله * ثُمَّ اسْتَقَامُوْا * تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَنْ لاَّ تَخَافُوْا * وَلاَ تَحْزَنُوْا * وَأَبْشِرُوْا بِالْجَنَّةِ الَّتِيْ كُنْتُمْ تُوْعَدُوْنَ ﴾ لعلّ صدر الآية : ﴿ إِنَّ الَّذِيْنَ

قَالُوْا : رَبُّنَا الله * ثُمَّ اسْتَقَامُوْا ﴾ يشير إلى الماضي ، ومتوسط الآية : ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَنْ لاَّ تَخَافُوْا * وَلاَ تَحْزَنُوْا ﴾ فيه بيان واضح للحال الذي يعيشه الإنسان فيستبشر فيه بعدم الخوف والحزن ، ويقضي حياته في غاية من الهدوء والأمن والسرور ، أمّا آخر الآية ؛ فهو قوله تعالى : ﴿ وَأَبْشِرُوْا بِالْجَنَّةِ الَّتِيْ كُنْتُمْ تُوْعَدُوْنَ ﴾ تشير بكلّ وضوح إلى المستقبل الذي سيلاقيه الإنسان المؤمن في آخرته ، وتلك هي نعمة الجنة والنعيم ، وذلك هو الجزاء الأوفى الذي يجد فيه الإنسان المؤمن كل ما يتمناه أو يحتاج إليه .

ومن ثم تتوزع حياة الإنسان بين الأزمنة الثلاثة ، ذلك لأن الزمن الغابر يعطيه حق العيش في الزمن الحاضر على قرار من السابق ، وكلاهما يعيّنان موقفه من المستقبل الذي يتمثل له في النهاية من خلال الغابر والحاضر .

لذلك فإن صرف النظر عما مضى من الحياة ونشاطها وعدم الاعتداد بما يعيشه المرء من حاضره ، إسلاة إلى مستقبل مشرق يتوقعه هو ، أمّا الإنسان المسلم فيجتمع في حياته كل من الأزمنة الثلاثة ، فهو بالنسبة إلى الإيمان بالله ورسوله ﷺ عاش في أيام ماضية ، وبالنظر إلى العمل الصالح يعيش في الزمن الحاضر ، وما يرجوه في آخرته من الجزاء الأوفى فهو مستقبله العزيز اللامع الذي يعززه ويبعث فيه دافع العمل للغد القريب ، والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ فَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ * وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ .

سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي :

الحضارة الإسلامية

بقلم : الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح

وهذه الحضارة الإسلامية تمتاز بأن كل مقوماتها الجوهرية تنبع من الإسلام الذي يمدها بالروح والقوة والتماسك ويوجهها إلى الموازنة بين مقاصد الروح ومطالب البدن .

والحضارة الإسلامية في نظام عقيدتها تقوم على توحيد الله وإفراده بالعبادة والتمسك بما شرع من آداب وتعاليم .

وهي في نظامها السياسي : تقوم على الشورى ، والنزول على رأي الجماعة والمساواة بين الناس واحترام حقوق الإنسان والتزويد بأسباب القوة والمنعة .

وفي نظامها الخلقي : تقوم على خلوص النية ، ونقاء الضمير ، والتمسك بالحق والعدل ، والسلوك المستقيم ، والتزام الآداب الفردية والاجتماعية التي تسير بالإنسانية إلى الكمال .

وفي نظامها الاقتصادي : تقوم على تبادل المنافع ، واتخاذ المال وسيلة لا غاية واحترام الملكية الفردية .

وفي نظامها التشريعي : تقوم على أصول رئيسة واسعة ، وقد تمثلت هذه الناحية في ثروة من الفقه الإسلامي تجلت فيها عبقرية الحضارة الإسلامية وتمثلت فيها حرية الاجتهاد .

وفي نظامها الثقافي : تعتمد على طلب المعرفة من مظانها ومن أي مكان وزمان واستخدام العقل في كسب المعارف واعتبار الثقافة أياً

كان مصدرها ومهدها تراثاً إنسانياً .

ويستطيع الدارسون للحضارة الإسلامية : أن يدركوا في وضوح أن الحضارة الإسلامية :

- قد وصلت بين قديم الحضارات وجديدها بما حفظت من تراث الأقدمين ، وما أضافت إليه من صنع توجيهاتها .
- وأنها أنقذت العالم مما كان يعيش فيه من فوضى وانهيار واضطراب ، واستعباد ، وظلم .
- وأنها أعطت العالم حضارة جديدة تقوم على عقيدة التوحيد في أسمى صورها وأصفاها ، أعطت كذلك مجتمعاً جديداً يقوم على التعاون والتسامح والحرية والتعايش السلمي بين الجميع .
- وأنها أعطت الإنسانية ذخيرة حية من المعارف أفاد منها الغرب في حركاته الإصلاحية ، وتعتمد عليها الأمة الإسلامية في يقظتها الواعية وعودتها الصادقة .
- وأنها وضعت بعض أصول المنهج العلمي الحديث كطريقة الشك عند الغزالي والتكامل الخلقي والسلوكي عند الحكيم الترمذي كما فتحت آفاقاً جديدةً في البحوث الإنسانية والدراسات الاجتماعية كفلسفة التاريخ عند عبد الرحمن بن خلدون وعلم البصريات عند ابن الهيثم وابتدأت مرحلة جديدة في تطور علوم الرياضة على يد الخوارزمي وعمر الخيام .
- وقد ساعدت الحضارة الإسلامية بآدابها على نهضة الآداب في أوربا وفتحت آفاقاً جديدةً أمام شعراء الغرب وكتابه .
- وأن خلفاء الحضارة الإسلامية وقادتها قد ساعدوا بأخلاقهم وسلوكهم وبمثالية المروءة والشرف والقيم التي تحلوا بها على

إشاعة المثل الخلقية الرفيعة مما كان قدوة لمن احتك بهم في السلم أو في الحرب.

وإن من يمعن النظر في أعماق الحضارة الإسلامية وما حققته للإنسان من أسباب النمو وعوامل الازدهار، ويلم بما جاء به الفكر الإسلامي من مفاهيم تناولت أهم معضلات الحياة، يدهشه مدى عمق التفكير الواعي الذي بلغ ذروته علماء الإسلام، ويتضاعف إعجاب البلحث بهذا الفيض الزاخر من الجهود العلمية العظمية التي ملأت الدنيا.

وتزداد دهشة المفكر، ويتعاظم تمجيده لحركة التحول الخطيرة التي أصابت المجتمع في تلك الفترة القصيرة.

ترى أي سر هذا الذي استطاع أن يحوّل عرب الصحراء إلى أساطين في العلم ومشاعل في الحضارة ومناورات في الثقافة؟ وأي قوة رفعت العرب من حال البداوة التي كانوا عليها إلى أبطال وقادة غير هيابين ولا وجلين؟ وترى كيف نفسر سرعة تطور العرب من الجاهلية الجهلاء إلى الحضارة العلياء في أقل مدة عرفتها الإنسانية؟

تقول الكاتبة الألمانية الدكتورة سيجريد هونكه: (إن هذه الطفرة العلمية الجبارة التي نهض بها أبناء الصحراء من العدم من أعجب النهضات العلمية في تاريخ العقل البشري).

ليس من المعقول في نظر المفكر والباحث: أن يطفر الفكر العربي الذي قيدته ظروف الحياة القبلية الآسنة اليبوس إلى تلك المرتبة العالمية دون أن تكون هناك الأسباب القوية التي دفعت به إلى الحياة المتحركة دفعاً.

ومن المسلم به: أنه لم تظهر قبل الإسلام أية دلائل على

التطور الفكري من العرب المنتشرين في الجزيرة العربية، وكان الشعر، والخطابة، والتنجيم أحب شئ إلى عرب الجاهلية.

إذن .. ما هي تلك الأسباب التي استقى منها الفكر العربي مادة حيويته وتطوره؟ وما هي الموارد التي نهل منها أسباب تكامله وقوته؟

إن المنبع الأول والأصيل في كل ذلك هو القرآن الكريم، وذلك أن القرآن لم يكن كتاب دين يحث على العبادة فحسب، وإنما كان إلى جانب تأكيده وحدانية الله وما يتبعها من عقائد وعبادات وأوامر ونواه، كان أعظم المناهج التي عرفتها الإنسانية في تاريخها الطويل الممتد عبر الزمن، وذلك بما تضمنه المنهج الإسلامي من القواعد الرصينة الكفيلة بقيام المجتمع الإنساني.

ولقد كان أول أثر القرآن في الفكر الإنساني اهتمامه الواسع بالعلم، وذلك أن العلم أساس التقدم، وتبادل الخبرات والمنفعة.

وقد كانت عناية القرآن بالعلم تفوق حد الوصف، تأمل القرآن وتدبر آياته تجده يدعو إلى تحكيم العقل والمنطق في مظاهر الكون وأحداث الماضي.

ولقد اشتمل القرآن الكريم على آلاف الآيات التي احتوت أصولاً وحقائق تتصل بعلوم الفلك والطبيعة وما وراء الطبيعة والأحياء والنبات والحيوان وطبقات الأرض والأجنة والوراثة والصحة والتعدين والصناعة والتجارة والمال والاقتصاد إلى غير ذلك من أمور الحياة.

واحتوت باقي الآيات على الأصول والأحكام في المعاملات وعلاقات الأمم والشعوب في السلم والحرب وفي سياسة الحكم

وإقامة العدل وكل ما يتصل ببناء المجتمع وهذا كله بخلاف العبادات والتكاليف والقصص والمواعظ والأمثال وغير ذلك من شتى أمور الدين والدنيا مما كان محلاً للدراسة والاستنتاج والبحث والتنقيب والتأصيل والتقعيد وكان أساساً لعلوم الفقه والتفسير والحديث والأصول والأخلاق والبلاغة والنحو والأدب .

ذلك أن القرآن من العمق والاتساع والعموم والشمول بما يقبل تفهم البشر له أياً كان مبلغهم من العلم وبما يفي بحاجاتهم في كل عصر ويتجاوب مع أهل البداوة في يسر ويبهر في عمقه أهل الحضارة الذين صعدوا في سلم الرقي وبرعوا في فنون العلم والمعرفة.

لقد كرم الإسلام العلم وحث المسلمين على المزيد فيه والاستفادة منه لأنه ينير العقول المظلمة ويحيي القلوب الميتة ويهدي النفوس الحائرة ويرقي بالمجتمعات الإنسانية ويسمو بالقواعد الحضارية.

وقد كانت عناية الإسلام بالعلم تفوق حد الوصف حتى إن كلمة العلم بجميع تصريفاتها واشتقاقاتها ترد في أكثر من خمسمائة آية من آيات القرآن الكريم وهذا ينبئ عن مكانة العلم في الإسلام .

والقرآن الكريم نفسه مشتق من القراءة والقراءة أدنى مفاتيح العلم الإنساني ؛ بل هي مفتاح هائل ، وطريق دائم للمعرفة ، والإنسان مهما كان ضعيفاً في العلم والثقافة فإنه إلى مزيد في العلم والثقافة ما دام يقرأ ، وأول ما نزل على محمد رسول الله ﷺ من وحي السماء عندما كان يتحنث في غار حراء خمس آيات من القرآن الكريم هي قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِيْ خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِيْ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ

يَعْلَمْ ﴾ (العلق/١-٥) ففي هذه الآيات الخمس بدأ الوحي الإلهي بالأمر بالقراءة في أول آية وكان ذلك بصيغة فعل الأمر ، وقد تكرر الأمر بالقراءة في الآية الثالثة ، وأوضحها مؤكداً ما رمي إليه من معنى ، وهو التعليم وزاد التأكيد بذكر القلم .

يقول القاسمي في تفسيره : والتعليم بالقلم من أعظم نعم الله على عباده إذ به تخلد العلوم ، وتثبت الحقوق ، (وتعلم الوصايا) ، وتحفظ الشهادات ، وتضبط حسابات المعاملات الواقعة بين الناس وبذا تقيد أخبار الماضيين للباقين اللاحقين .

ولو لا الكتابة لانقطعت أخبار بعض الأزمنة عن بعض ودرست السنن واختلطت الأحكام ولم يعرف الخلف مذاهب السلف وكان معظم الخلل الداخل على الناس في دينهم ودنياهم إنما يعتريهم من النسيان الذي يمحو صور العلم من قلوبهم فجعل لهم الكتاب وعاءً حافظاً من الضياع كالأوعية التي تحفظ الأمتعة من الذهاب والبطلان .

ويقول فضيلة الشيخ المراغي في قوله تعالى :

﴿ ن * وَالْقَلَمِ * وَمَا يَسْطُرُوْنَ ﴾ (القلم/١) الله يقسم بالقلم والكتب فتحاً لباب التعليم بهما ولا يقسم الله إلا بالأمور العظام فإذا أقسم بالشمس والقمر والليل والفجر فإنما ذلك لعظمة الخلق وجمال الصنع .

وإذا أقسم بالقلم والكتب فإنما ذلك ليعلم العلم والعرفان وبه تتهذب النفوس وترقي شئوننا الاجتماعية والعمرانية .

وما أروح لفظ "وما يسطرون" حيث يشمل كل فنون الكتابة والتعبير عما في الضمير بالرسم والتصوير ، ويشمل كل آلة أو نظام

استحدث للتوصل إلى ذلك من آلات ومعدات حدثت أو ستحدث .

فإنسانية الإنسان لا تكمل إلا في ظل المعرفة الصادقـة والعلـم البناء المثمر الذي يوضح المعالم ، ويهدي إلى الرشاد .

والإسلام يحض المسلمين على طلب العلم والتفقـه في الديـن والبحث الدقيق في كل مجالاته وفنونه وفروعه ، وأن يتحملـوا المشاق في سبيل تعلمه وتحصيله وأن يبذلوا كل طاقتهم في طلب المزيـد منـه ، وأن يتعلموا كل ما ينفعهم في دينهم ودنياهم ، وكل ما يعود عليـهم و على الأمة الإسلامية ، والمجتمعات الإنسانية بالخير والرقي ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُوْنَ لِيَنْفِرُوْا كَافَّةً * فَلَوْ لاَ نَفَرَ مِـنْ كُـلِّ فِرْقَـةٍ مِّنْـهُمْ طَائِفَةٌ * لِّيَتَفَقَّهُوْا فِيْ الدِّيْنِ * وَلِيُنْـذِرُوْا قَوْمَـهُمْ إِذَا رَجَعُـوْا إِلَيْـهِمْ * لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُوْنَ ﴾ (التوبة/١٢٢) .

فهذه الآية الكريمة تشير إلى أن تعلم العلم واجب علـى الأمـة جميعاً وجوباً لا يقلُّ عن وجوب الجهاد والدفاع عـن العقيـدة والوطـن الإسلامي .

فإن الوطن يحتاج إلى من يناضل عنه بالسيف وإلى مـن يـناضل عنه بالحجة والبرهان .

وفي الآية كما جاء في تفسير المراغي إشـارة إلى وجـوب التفقـه في الدين والاستعداد لتعليمه في مواطـن الإقامـة وتفقيـه النـاس فيـه بالمقدار الذي تصلح به حالهم ، فلا يجهلون الأحكام الدينية العامة التي يجب على كل مؤمن أن يتعرفها والناصبون أنفسهم لهذا التفقـه على هذا القصد لهم عند الله من أسمى المراتب مـا لا يقـل في الدرجـة عـن المجاهد بالمال و النفس في سبيل إعلاء كلمـة الله و الـذود عـن الديـن والملة ، بل هم أفضل منهم في غير الحال التي يكون فيها الدفاع واجباً

عينياً على كل شخص .

روي البخاري ومسلم وابن ماجة عـن معاويـة ﷺ قـال : قـال رسول الله ﷺ : من يـرد الله بـه خـيراً يفقهـه في الديـن ، وروى أحمـد والطبراني عن صفوان بن عسال المرادي ، قال : أتيـت النـبي الكريـم ﷺ ؛ وهو في المسجد متكئ على برد له أحمر، فقلت له : يا رسـول الله ! إني جئت أطلب العلم ، فقال : مرحباً بطالب العلم إن طالب العلـم تحفه الملائكة بأجنحتها ثم يركب بعضهم بعضاً حتـى يبلغـوا السـماء الدنيا من حبهم لما يطلب .

وانطلاقاً من تعاليم الإسلام ودعوته إلى العلم أدرك المسـلمون مبلغ الحاجة إليـه في بنـاء المجتمـع ودعـم مراكـز الأمـة ، لهـذا وجـهوا العزائم في طلب العلوم علـى اختـلاف أنواعـها ، ولم يشـغلهم عـن طلبها ترف الحضارة ، ولم تثن عزائمهم عنها بأساء الحيـاة وضراوتـها ، بحثوا عنها في آيات الله التشريعية ، وآيات الله الكونية .

وأقاموا لها في كل مدينة مناراً عالياً ، وحملوا المشاعل المضيئة إلى مشارق الأرض ومغاربـها ، ولم يقـف المسـلمون بجـهودهم عنـد نتـاج عقولهم وأفهامهم بل اتجهوا إلى علوم السابقين ، يدرسون ؛ ويبحثون ، فاستخرجوا العلـوم وكـانوا يطلبـون العلـوم طلـب النـاقد البصـير ، واكتمل لهم من ملكة العلوم والفنون في جيل واحد ما لم يكتمل لأمـة من الأمم الناهضة في عدة أجيال .

وفي ذلك يقول بعض العلمـاء المؤرخـين : إن ملكـة الفنـون لم يتم تكوينها في أمـة مـن الأمـم الناهضـة إلا في ثلاثـة أجيـال : جيـل التقليد ، وجيل الخضرمـة ، وجيـل الاسـتقلال والاجتـهاد إلا العـرب وحدهم فقد استكملت لهم ملكة الفنون في الجيل الأول الـذي بـدأوا

فيه بمزاولتها.

وقد قام العلماء والمفكرون المسلمون بهذه النهضة العلمية التي تخطت مراحل النهوض في الأمم، قاموا بها رغم الأحداث العاتية التي حملوا أعباءها والحروب الطاحنة التي خاضوا غمارها لأن الأحداث والحروب، وإن بلغت ما بلغت لا تستطيع أن تقف في طريق العقائد الصحيحة التي انطوت عليها القلوب وتفاعلت بها النفوس، ولا أن تمنع العزائم القوية من الوصول إلى تحقيق أغراضها وأهدافها.

واستطاع المسلمون في سرعة لم يعهد لها مثيل في تاريخ الحضارة أن ينتقلوا من أمة الأمية إلى أمة العلم والقيادة الفكرية وأن يصبحوا قادة للفكر و رواداً للمعرفة والعلوم والفنون يدرسونها للأجيال المعاصرة كأحسن ما يكون التدريس والتعليم وينشرونها في شعوب كانت تائهة في عماء الجهل وظلمته ويدونونها للأجيال المقبلة كأحسن ما يكون التدوين والتأليف.

وإن الأمة التي أكرمها الله بالقرآن تتطلع إلى غد مشرق بالعلم والحضارة وخير للأمة أن تعمل في حزم وعزم لتحقيق الأمجاد.

***

وصلى الله تعالى على خير خلقه
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

***

درجات الرسل في وحي الله

بقلم : سعادة الدكتور غريب جمعة
(جدة - المملكة العربية السعودية)

لا شك أن رسل الله تبارك وتعالى هم المصطفين الأخيار من خلقه، وقد اصطفاهم سبحانه اصطفاء يفيضه على من يشاء من عباده بما استأثر به من أسرار هذا الاصطفاء التي ردها إلى علمه الخاص؛ فقال تعالى:

﴿ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ (الأنعام/١٢٤).

"وقد جعلها سبحانه أي الرسالة حيث علم واختار لها أكرم خلقه وأخلصهم، وجعل الرسل هم ذلك الرهط الكريم حتى انتهت إلى محمد خير خلق الله وخاتم النبيين" (١).

إن الله تبارك وتعالى اصطفاهم بعلمه فإنه رفع بعضهم فوق بعض درجات بمحض فضله ولا حرج على فضل الله.

فإذا كان الرسل هم صفوة الله من خلقه فإن أولى العزم منهم هم صفوتهم وإن صفوة أولى العزم هو سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وعلى إخوانه من الرسل والنبيين وسلم تسليماً، وحينما نقول إنه ﷺ هو صفوة الرسل جميعاً فلسنا نغلو في وصفه لأنه نهى عن ذلك في وضوح لا لبس فيه، فعن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، فإنما أنا عبد الله ورسوله"** قال علي بن المديني: هذا حديث صحيح مسند (رواه أحمد والبخاري) (٢).

وروى الإمام أحمد عن أنس بن مالك: أن رجلاً قال: يا محمد!

يا سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله ﷺ: "يا أيها الناس! عليكم بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله؛ عبد الله ورسوله؛ والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله ﷻ" (٣).

والإطراء هو حسن الثناء أي: لا تبالغوا في مدحي كما مدحت النصارى عيسى بن مريم فجعلوه إلهاً أو ابن إله، ونعوذ بالله من غلو أو تفريط يغضب الله ورسوله ﷺ.

وهيأ بنا - أخي القارئ - نتدبر في خشوع بعض آيات من وحي الله وحبله المتين ونوره المبين، تناولت هذا الموضوع لتهدينا إلى الأمر الراشد والسبيل القاصد.

أولاً - يقول الله تبارك وتعالى:

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ * فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ * مِّنْهُم مَّنْ كَلَّمَ اللهُ * وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ * وَآتَيْنَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ * وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ * وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ * وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا * فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ * وَمِنْهُم مَّنْ كَفَرَ * وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا * وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ (البقرة/٢٥٣)، فالآية تشير إلى أن الله تبارك وتعالى قد فضل ورفع بعضهم درجات معلومة، وبينت مظاهر ذلك التفضيل والرفع فضربت مثلاً لذلك باثنين من أولى العزم من الرسل هما: موسى عليه السلام الذي كلمه الله تكليماً دون واسطة حتى سمي بالكليم وما أعظمها من درجة.

وثانيهما عيسى عليه السلام الذي آتاه الله الإنجيل وأجرى على يديه من المعجزات ما أبهر العقول كإحياء الموتى وشفاء المرضى - بإذنه تعالى - والإخبار عن الكثير من المغيبات وتأييده بروح القدس وهو

جبريل عليه السلام سفير الله إلى رسله؛ وهو تأييد لا يماثله بذْه يقترب منه تأييد.

ولعل سائلاً يسأل: لماذا لم تذكر الآية النبي الكريم محمداً ﷺ؟

ويجيب عن ذلك صاحب الظلال - يرحمه الله - بقوله:

"ولم يذكر النص محمداً ﷺ لأن الخطاب موجه إليه كما جاء في الآية السابقة في السياق ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ * وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾، فالسياق سياق إخبار عن غيره من الرسل، وحين ننظر إلى مقامات الرسل صلوات الله وسلامه عليهم من أية ناحية نجد محمداً ﷺ في القمة العليا، وسواء نظرنا إلى الأمر من ناحية شمول الرسالة وكليتها أو من ناحية محيطها وامتدادها فإن النتيجة لا تتغير" (٤) أهـ.

ويبين ﷺ مكانه من تلك القمة حتى يحذر أتباعه من الإفراط أو التفريط في حقه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع" (أخرجه مسلم والترمذي وأبو داؤد، ولم يقل أبو داؤد يوم القيامة).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ - آدم فما سواه - إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر" (أخرجه الترمذي).

على أن تفاضل الرسل في درجاتهم عند الله مما يقتضي الإيمان بهم ومحبتهم جميعاً والصلاة والتسليم عليهم وتقديرهم والأخذ بما جاءوا به من عند الله دون خصومات وتناحر، ولا يجوز أن يكون هذا التفاضل مثار خلاف وجدل وأحقاد تنتهي بتفرق الناس شيعاً وأحزاباً

، يتعصب كل منها لنبي من الأنبياء ، لذلك نبهنا خاتم النبيين إلى ذلك الخطر الكبير في حديثه الشريف .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال : **"لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى"** (ونسبه إلى أبيه) (أخرجه البخاري ومسلم وأبو داؤد ولم يذكر نسبه إلى أبيه) .

قال العلماء :

قوله ﷺ : **"أنا سيد ولد آدم ..."** ، و قوله في ذكر يونس عليه السلام : **"لا ينبغي لعبد ..."** ، و حديث : **"لا تفضلوني على يونس ابن متى ..."** و وجه الجمع بين هذه الأقوال :

أن قوله : **"أنا سيد ولد آدم"** إنما هو إخبار عما أكرمه الله تعالى به من الفضل والسؤدد وتحدث بنعمة الله عليه وإعلام لأمته بذلك ليكون إيمانهم به على حسب ذلك ، وأما قوله في يونس عليه السلام فيحتمل أن يكون أراد بقوله : **"لا ينبغي لعبد"** أو لأحد غير نفسه أو أن يكون عاماً فيه ﷺ وفي غيره من الناس فيكون ذلك على سبيل الهضم والتواضع لربه ، فكأنه ﷺ يقول : لا ينبغي لي أن أقول : أنا خير منه لأن الفضيلة التي نلتها كرامة من الله وخصوصية منه ، لم أنلها من قبل نفسي ولا بلغتها بقوتي ، فليس لي أن أفتخر بها وإنما عليّ أن أشكر ربي ، وإنما خص يونس بالذكر لما قصه الله علينا من شأنه وما كان من قلة خبره على أذى قومه فخرج مغاضباً ولم يصبر كما صبر أولو العزم من الرسل .

ويزداد الأمر بياناً على بيان ونوراً على نور حينما نتأمل هذا الحديث الشريف الذي يعتبر نموذجاً فذاً للأدب النبوي العالي ولسماحة الإسلام كما يعتبر صفعة على وجوه دعاة العنصرية إلى يوم القيامة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما يهودي يعرض سلعته ، أعطى

بها شيئاً كرهه ، فقال : لا والذي اصطفى موسى على البشر فسمعه رجل من الأنصار فقام فلطم وجهه ، وقال : تقول والذي اصطفى موسى على البشر والنبي الكريم ﷺ بين أظهرنا ؟ فذهب إليه (أي إلى النبي) فقال : يا أبا القاسم إن لي ذمة وعهداً فما بال فلان لطمني ؟ فقال : **"لم لطمت وجهه ؟"** فذكره فغضب النبي الكريم ﷺ حتى رئي في وجهه (وفي رواية مسلم حتى عرف الغضب في وجهه) ثم قال : "لا تفضلوني بين أنبياء الله ، فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من يبعث فإذا موسى آخذ بالعرش ، فلا أدري : أحوسب بصعقة الطور أم بعث قبلها ، ولا أقول : إن أحداً أفضل من يونس بن متى" (أخرجه البخاري ومسلم) .

وهنا سؤال : كيف يمكن الجمع بين هذا الحديث والآية التي معنا وهي قوله تعالى : ﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ ...** ﴾ (الآية) .

وقد قال الإمام النووي - يرحمه الله - عن ذلك في شرحه لصحيح مسلم : جوابه من خمسة أوجه :

أحدها : أنه ﷺ قال ذلك قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم فلما علم أخبر به .

والثاني : قاله أدباً وتواضعاً .

والثالث : أن النهي إنما هو عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص المفضول .

والرابع : أنه نهى عن تفضيل يؤدي إلى الخصومة والفتنة كما هو المشهور في سبب الحديث .

والخامس : أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة أي في أصلها فلا تفاضل فيها ، وإنما التفاضل في درجاتها وبخصائص و

فضائل أخرى ، ولابد من اعتقاد التفضيل ، فقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ... الآية ﴾ .

(شرح صحيح مسلم للإمام النووي ، كتاب الفضائل ، باب تفضيل نبينا على جميع الخلائق) .

ثانياً : ومن الآيات التي نتدبرها أيضاً قوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ * تَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ * وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ * وَتُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ * وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ * مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُوْنَ * وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُوْنَ ﴾ (آل عمران/١١٠) .

يقول الإمام ابن كثير - يرحمه الله - : "وإنما حازت هذه الأمة قصب السبق إلى الخيرات بنبيها محمد صلوات الله وسلامه عليه ، فإنه أشرف خلق الله وأكرم الرسل على الله ، وبعثه بشرع عظيم لم يُعْطه نبياً قبله ولا رسول من الرسل فالعمل على منهاجه وسبيله يقوم القليل منه ما لا يقوم العمل الكثير من أعمال غيرهم مقامه ؛ كما روى الإمام أحمد عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ : **"أعطيت ما لم يُعط أحد من الأنبياء"** ، فقلنا : يا رسول الله ما هو ؟ قال : **"نصرت بالرعب وأعطيت مفاتيح الأرض وسميت أحمد ، وجعل التراب لي طهوراً ، وجعلت أمتي خير الأمم"** .

(تفرد به أحمد من هذا الوجه وإسناده حسن ، المسند/٧٦٣ ، وحسنه أيضاً الحافظ في الفتح : ج٨ ، ص١٦٩ ، ويقول العلامة المحقق الشيخ أحمد شاكر : وعندي أن إسناده صحيح) (٥) .

ثالثاً : ومن الآيات التي معنا أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيْراً وَّنَذِيْراً * وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُوْنَ ﴾ (سبأ/٢٨) .

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : "إن الله فضل محمداً

ﷺ على أهل السماء وعلى الأنبياء" ، قالوا : يا ابن عباس فيم فضله على الأنبياء ؟

قال : إن الله تعالى قال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُوْلٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ ، وقال للنبي الكريم ﷺ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ فأرسله إلى الجن والإنس ، وهذا الذي قاله ابن عباس قد ثبت في الصحيحين رفعه عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : **"أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي الكريم يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة"** (٦) .

(أخرجه البخاري : ٣٣٥ ، ومسلم : ٥٢١/٣)

وهكذا أخي القارئ بعد هذا التدبر الخاشع لهذه الآيات المباركة ، وتلك الأحاديث الصحيحة ، (والسنة الصحيحة هي ثاني الوحيين) لذلك جعلنا عنوان المقال : درجات الرسل في وحي الله ونحن نعني به الكتاب والسنة الصحيحة : - بعد هذا التدبر - نقول : ما علمنا إياه حبر الأمة وترجمان القرآن في قوة إيمان وعلم يقين وتمام معرفة : **"إن الله فضل محمداً ﷺ على أهل السماء وعلى الأنبياء"** .

ومن يكون في هذه الدرجة الرفيعة التي لا تساويها درجة ، بَلْه تقترب منها ، تكون محبته في نفس السمو والرفعة فهي تعلو على محبة من سواه من نفس و ولد و والد والناس أجمعين ، وحين تتحقق تلك المحبة في قلب المحب يجد حلاوة الإيمان التي يُحرم منها المحجوبون عن الله ورسوله ﷺ ، وتأمل هذا الحديث الشريف : عن أنس ﷺ عن النبي الكريم ﷺ قال :

"ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله

ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكـره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقـذف في النـار" (متفق عليه) (٧) .

ولله در العلامة الكبير ، الحـافظ الفاقـه لكتـاب الله والضليـع المكين في العربية وآدابها والعابد المخبت الذي تكشفت أمام بصيرتـه النيرة الحكم البالغات التي غابت عـن غـيره الدكتـور فضيلـة الشـيخ محمد عبد الله دراز حينما يقول في شرح هذا الحديث :

"ومحبة الله ورسوله هي أرقى أنواع هذه المحبة العقلية وأقواها ، فمن كان باعث المحبة عنده معرفة ما في المحبوب من كمـال ذاتـي ، فـالله تعالى أحق بمحبته إذ الكحل خاصة ذاته والجمال الأتم ليس إلا لصفاته

والرسول الكريم ﷺ أحق من يتلوه في تلك المحبـة لأنـه أكـرم الخلق عند ربه ، تأمل جيداً أخي القارئ عبارة أكرم الخلـق عنـد ربـه ، وهو ذو الخلق العظيم والهدى القويم .

ومن كانت محبته للغير تقاس بمقاس ما يوصله إليـه ذلـك مـن الغير من المنافع وما يغدق عليه من الخيرات فالله أحق بهذه المحبة أيضـاً ، وإن نعمه علينا تجرى مع الأنفس ودقات القلوب ، ولا نعمة إلا وهو مصدرهـا ﴿ وَمَـا بِكُـم مِّـنْ نِّعْمَـةٍ * فَمِـنَ اللهِ ﴾ (النحـل/٥٣) ، ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوْا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوْهَا ﴾ (النحل/١٨) .

وهذا الرسول الكريم الـرؤوف الرحيـم هـو واسـطة النعمـة العظمى ، إذ هو الذي أخرجنا الله بـه مـن الظلمـات إلى النـور ومـن الضلالة إلى الهدى ، واستنقذنا به من النار بعد أن كنا على شفا حفـرة منها ، فليس بعد الله أحد أمنُّ علينا منه ومحبته الحقيقة شعبة مـن محبة الله" أهـ (٨) .

غيض من فيض و وشل من بحر (٩) :

وقد طال رشاء القلم - أخي القارئ - وعلى الرغم مـن ذلـك فما ذكرناه هنا هو غيض من فيض و وشل من بحر ، إذا علمت أنه قـد صدرت مؤخراً موسوعة في شمائله ﷺ بعنوان :

"نضرة النعيم في مكارم وأخلاق الرسول الكريم ﷺ" (١٠).

موسوعة قيم وأخلاق التربية الإسلامية لما أمر به ونُـهي عنـه ، وما أمر به ونهى عنه في الكتاب والسنة ، إعداد مجموعة من المختصين بإشراف معالي الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد ؛ إمام وخطيب الحـرم المكي ، والشيخ عبد الرحمن بـن حميـد بـن عبـد الرحمـن بـن ملـوح ؛ مؤسـس دار الوسـيلة للنشـر والتوزيـع ، الطبعـة الأولى في ١٤١٦هـ (١٩٩٨م) وحققت النصوص تحقيقاً علمياً متميزاً ، فجزاهم الله خـيراً ، وتقع الموسـوعة في اثنـى عشـر مجلـداً (١٢ / مجلـداً !!) ، الأخـير في الفهارس والأول معظمه في أحداث السيرة النبوية ، جـانب الغـزوات والسرايا .

وإذا علمت أيضاً أن صاحب كتاب : السـيرة النبويـة في ضـوء المصادر الأصلية جمع مـن الخصـائص الـتي فُضِّـل بـها الرسـول النـبي الكريم محمد ﷺ وأمتـه ١٢٠ (مائـة وعشـرين) خصيصـة .. نعـم مائـة وعشرين ، ثم قال في نهاية ذلك :

وقد روى بعض العلماء في هذا الباب أحاديث ضعيفـة ضعفـاً لا ينجبر أو واهية أو موضوعة أشار بعض العلماء المحققـين إلى عللـها وأسباب ردها ، وممن أشار إلى بعضها الشـيخ عبـد الله التليـدي محقـق ومهذب كتـاب : تـهذيب الخصـائص النبويـة الكـبرى للسـيوطي : ص/١٥-١٦ وختمها بقوله : "هذا بعض من كثير مـن الموضوعـات في كتب الخصائص" .

وقد جرد الشيخ التليدي خصائص السيوطي مما علق به من شوائب، أهمها، تجريده من الضعيف الذي لا ينجبر و الواهي و الموضوع - جزاه الله خيراً - فجاء هذا التهذيب مصدراً صافياً لا غنى عنه لطالب الحقيقة في مجال خصائص النبي الكريم ﷺ ومعجزاته (١١).

نقول: وفي طلب الحق والحقيقة في فضائل النبي المصطفى والرسول المجتبى سيدنا محمد ﷺ.

فليتنافس المحبون الصادقون.

---

(١) في ظلال القرآن - سيد قطب (دار الشروق، القاهرة، ط/١٧، ١٤١٢هـ (١٩٩٢م) المجلد الثامن، الجزء الثامن: ص/١٢٣.

(٢) المسند: ص/١٥٤، ١٦٤، ٣٣١، والبخاري: ج/٦، ص/٣٥٥ فتح.

(٣) تفرد به أحمد من هذا الوجه، المسند: ٧٨-١٢٥، قال الشيخ أحمد شاكر: وإسناده صحيح.

(٤) المرجع رقم (١).

(٥) مختصر تفسير القرآن العظيم المسمى عمدة التفسير، عن الحافظ بن كثير، اختصار وتحقيق، أحمد محمد شاكر (دار الوفاء، المنصورة ج.م.ع) الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ (٢٠٠٣م) الجزء الأول: ص/٣٧٥.

(٦) نفس المرجع في رقم (٥)، الجزء الثالث: ص/٨١.

(٧) أخرجه البخاري في الإيمان، باب حلاوة الإيمان: ١/٥٦-٥٨، والأدب، ومسلم في الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (٤٣).

(٨) المختار من كنوز السنة، د.محمد عبد الله دراز (دار الأنصار - القاهرة): ص/٣٤٤-٣٤٥.

(٩) الغَيْض: القليل، يقال أعطاه غيضاً من فيض: قليلاً من كثير، الوشل: الماء القليل يتحلب من صخرة أو جبل.

(١٠) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د.مهدي رزق الله أحمد، الطبعة الثانية (دار إمام الدعوة - الرياض ١٤٢٤هـ) المجلد الثاني: ص/٤٣٢.

(١١) نفس المرجع في رقم (١٠): ص/٥٥٩.

من كرائم النساء

بقلم: الدكتور محمد بن سعد الشويعر
(رئيس تحرير مجلة: "البحوث الإسلامية" - الرياض)

ومنهنّ: خولة بنت الأزور، وهي أخت الصحابي: ضرار بن الأزور لم يعرف في النساء أشجع منها، وأمكن منها في المراوغة بالخيل، أثناء القتال، وكانت شجاعة خرجت مع أخيها إلى الشّام، تحت قيادة خالد ابن الوليد، فأظهرت في حرب الروم بسالة عظيمة، وفعلت في جنود الروم الأفعال، تقاتل وهي متلثّمة.

ومن المشاهد لها التي أظهرت فيها بسالة وفروسية نادرة، فقد أُسِرَتْ نساء المسلمين، في وقعه صحورا، فجمعت خولة النساء، فقامت فيهنّ خطيبة، وهي مأسورة معهنّ، فقالت: يا بنات حمير، وبقية تبّع، أترضين لأنفسكن من علوج الروم، ويكون أولادكنّ عبيداً لأهل الروم، فأين شجاعتكنّ وبراعتكنّ، التي تتحدث بها عنكنّ أحياء العرب، ومحاضر الحضر، وإني أراكنّ بمعزل عن ذلك، وإني أرى القتل عليكنّ أهون من هذه الأسباب، وما نزل عليكنّ من خدمة الروم، فقالت لها عفراء بنت غفار الحميرية: صدقتِ والله، يا بنت الأزور، ونحن في الشجاعة كما ذكرت، وفي البراعة كما وصفتِ، غير أنّ السيف يحسن فعله في مثل هذا الوقت، وإنّما دهمنا العدوّ على حين غفلة، وما نحن إلا كالغنم بدون سلاح.

فقالت خولة: يا بنات التتابعة، خذوا أعمدة الخيام، وأوتاد الأطناب، ونحمل بها على هؤلاء اللّئام، فلعلّ الله ينصرنا عليهم،

فنستريح من معرّة العرب ، فقالت عفراء بنت غفار : والله ما دعوت إلا ما هو أحبّ إلينا ، ممّا ذكرت ، ثم تناولت كل واحدة عموداً من أعمدة الخيام ، وصِحْنَ صَيْحَةً واحدةً ، وألقت خولة على عاتقها عموداً ، وسعت من ورائها عفراء أم أبان بنت عتبة ، ومسلمة بنت زارع ، وروعة بنت عملون ، وسلمة بنت النعمان وغيرهنّ ، فقالت لهن خولة : لا ينفكّ بعضكنّ عن بعض ، وكنّ كالحلقة الدائرة ، ولا تفترقْنَ فتملكن ، فيقع بكنّ التشتيت وأحْطُمَن رماح القوم ، واكْسُرْنَ سيوفهم .

وهجمتْ خولة ، وهجمتْ النساء وراءها ، وقاتلْنَ قتالاً شديداً ، حتى استخلصت النسوة من أيدي الروم ، وتوفيت في أواخر خلافة عثمان ابن عفّان . (فتوح الشام للواقدي)

أما الشاعرة الخنساء : فقد حضرت حرب القادسية ، ومعها بنوها أربعة رجال ، فقالت لهم من أول الليل : يا بنيّ أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، و والله الذي لا إله إلا هو ، إنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا هجّنتُ حسبكم ، ولا غيّرت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعدّ الله للمسلمين الثواب الجزيل في حرب الكافرين ، وأعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية ، يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا * اصْبِرُوْا * وَصَابِرُوْا * وَاتَّقُوْا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ ﴾ (آل عمران/٢٠٠) .

فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين ، فاغْدُوا إلى قتال عدوّكم ، مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين ، فإذا رأيتم الحرب قد شمّرت عن ساقها ، واضطرمت لظىً على سياقها ، وحللت ناراً على أرواقها ، فتيمموا وطيسها ، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها ،

تظفروا بالغنم والكرامة ، في الخلد والمقامة .

فخرج بنوها لنصحها فقتلوا جميعاً ، فقالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو الله أن يجمعني بهم في مستقرّ رحمته .

وكان رسول الله ﷺ يسمع شعرها ويفضله على غيرها من الشعراء ، وتوفيت في خلافة عثمان بن عفان (زهر الآداب للحصري) .

أمّا عَمْرَةُ بنت عبد الرحمن : فقد كانت في حجر عائشة أم المؤمنين ، فحفظت عنها أحاديث وعلم غزير ، فكانت محدثة عالمة فقيهة ، روت عن كثير من الصحابيات أيضاً ، وعن أخيها محمد بن عبد الرحمن ، وابنها أبو الرجال ، وابن أخيها يحيى بن عبد الله ، وابن ابنها حارثة ابن أبي الرجال ، وابن أخيها أبو بكر محمد بن عمرو وغيرهم .

قال يحيى بن معين : عمرة بنت عبد الرحمن ثقة حجّة ، وقال المديني تابعيّة مدنية ثقة ، و ذكرها ابن حبّان في الثقات ، أما ابن المديني : فعندما ذكرها فخم أمرها ، وقال : عمرة أحد الثّقات العلماء بعائشة الإثبات ، وكان عبد الرحمن بن القاسم يسألها عن حديث عائشة ، لأنّها أعلم الناس به ، وكتب عمر بن عبد العزيز ، إلى أبي بكر بن محمد ، عندما بدأ في تدوين الحديث : أن انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ ، أو سنة ماضية ، أو حديث عَمْرة فأكتبه ، فإني خشيت دروس العلم ، وذهاب أهله ، وروى لها الجماعة ، وتوفيت عام ٩٨هـ . (طبقات ابن سعد)

أميّة بنت قيس : أسلمت وبايعت بعد الهجرة ، وشهدت مع رسول الله ﷺ خيبر ، فقالت : جئت رسول الله ﷺ في نسوة من بني غفار ، فقلنا : إنا نريد يا رسول الله ، أن نخرج معك إلى خيبر ، فنداوى

الجرحى، و نعين المسلمين بما استطعنا، فقال رسول الله ﷺ: على بركة الله.

قالت: فخرجنا معه، وكنت جارية حديثاً سنّي، فأردفني رسول الله حقيبة رحله، فنزل إلى الصبح فأناخ، فلما فتح الله لنا خيبر، رضخ لنا من الفئ، ولم يسهم لنا، وأخذ القلادة التي تُرى في عنقي فأعطانيها، وعلّقها بيده، في عنقي فوالله لا تفارقني أبداً، فكانت في عنقها حتى ماتت وأوصت أن تدفن معها. (أسد الغابة)

ولا ننسى في هذا بنت سعيد بن المسيب، التي خطبها الوليد ابن عبد الملك، وغيره من أمراء بني أميّة، فرفض والدها تزويجها لهم، فضربوه وأثقلوا عليه وهو مصرّ، فزوّجها لأحد تلاميذه، لما ماتت زوجته، وأدخلها والدها عليه، وهو فقير معدم لا يملك غير درهمين ساقهما مهراً لها، فوجدها عالمة فقيهة محدّثة، قد أخذت علوم والدها في صدرها، وكلّما نقص من علم والدها، جلست لزوجها نلقيه عليه درساً درساً، وقد توسّع في علمها وزواجها.

(ابن خلكان في كتابه: "وفيات الأعيان" وابن سعد في طبقاته)

نخّة أخت بشر الحافي: امرأة مشهورة بالورع والعبادة، تكسب لقمتها من غزل يدها، سألت أحمد بن حنبل: فقالت: امرأة رأس مالي دانقان اشترى القطن، فأردنه فأبيعه بنصف درهم، فأتقوّت بدانق من الجمعة إلى الجمعة، فمرّ ابن طاهر الطائف - الذي يطوف بالمدينة - ومعه مشعل - شبيه بالرّاج -، فوقف يكلّم أصحاب المصالح، فاستغنمت ضوء المشعل، فغزلت طاقات ثم غاب عني، فعلمت أن الله سيطالبني فخلّصني؛ فقال لها: تخرجين الدانقين، ثم تبقين بلا رأس مال، حتى يعوضك الله خيراً منهما، فقال ابنه عبد

الله: يا أبة لو قلت لها: أخرجي الغزل الذي أدركت فيه الطاقات، فقل: يا بنيّ سؤالها لا يحتمل التأويل، ثم قال: من هذه؟ قال: أخت بشر الحافي فقال: من هاهنا أتيت، وقال بشر: تعلمت الورع من أختي فإنّها كانت تجتهد أن لا تأكل لمخلوق فيه صنيع.

(تاريخ بغداد للخطيب)

وما أكثر النماذج الفذّة، في سير النساء المسلمات، المدوّن وغير المدوّن، رحمهن الله ففيهن القدوة بالصلاح والعمل.

وصية أمامة بنت الحارث:

إن من الملائم، مع كرائم النساء: ذكر وصيّة أمامة هذه، لأنها تهم كل فتاة مقبلة على الزواج: قالت لابنتها أم إياس بنت عوف: يا بنيّة: إن الوصية لو تركت لفضل أدب، تركت لذلك منك، ولكنها تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل، ولو أن امرأة استغنت عن الزوج، لغِنَى أبويها وشدّة حاجتهما إليها، كنت أغنى الناس عنه، ولكنّ النساء خُلقْنَ للرجال، ولهنّ خُلِقَ الرجال.

أيْ بنيّة، إنك فارقت الجوّ الذي منه خرجت، وخلّفْتِ العشّ الذي فيه درجت، إلى وكْر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً، فكوني له أمة، يكن لك عبداً وشيكاً.

يا بنيّة أحملي عني عشر خصال، تكن لك ذخراً وذكراً، الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، والتعهّد لموضع أنفه، والتفقد لموضع عينه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشمّ منك إلا أطيب ريح، والكحل أحسن الحسن، والماء أطيب الطيب المفقود.

والتعهّد لوقت طعامه، والهدوء عنه عند منامه، فإنّ حرارة

• الجوع ملهبة ، وتنفيص النوم مبغضة ، والاحتفاظ ببيته وماله ، والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله ، فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير .

والإرعاء على العيال والحشم حُصْن التدبير ، ولا تفشى له سراً ، ولا تعصى له أمراً ، فإنّك إن أفشيت سرّه لم تأمني عذره ، وإن عصيت أمره أوغرت صدره .

ثم اتّقى مع ذلك الفرح إنْ كان ترحاً ، والاكتئاب عنده إن كان فرحاً ، فإن الخصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكوني أشدّ ما تكونين له تعظيماً ، يكن أشدّ ما يكون لك تكريماً ، وأشدّ ما تكونين له موافقة ، يكن أطول ما تكونين له موافقة ، وأعلمي أنّك لا تصلين إلى ما تحبّين ، حتى تؤثري رضاه على رضاكِ ، و هواه على هواكِ ، في ما أحببْتِ أو كرهْتِ .

والله يخير لك ، فحملت إليه وسلّمت له ، فعظم موقعها منه ، و ولدت له الملوك السبعة في كنده ، الذين ملكوا بعد والدهم : الحارث بن عمرو اليمن . (الذخائر لابن سلام الباهلي)

***

وصلى الله تعالى على خير خلقه
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

***

الإعلام وفشل الحضارة الغربية في إنقاذ الإنسان !

بقلم : الدكتور عدنان علي رضا النحوي
www.alnahwi.com info@alnahwi.com

يطلع الغرب علينا ، وعلى رأسه أمريكا ، ليدّعوا أنهم الشعوب الأرقى والأعدل والأقوى ! أخذهم الكبر والغرور فلم يعودوا يشعرون بالخطر الذي يهدّدهم ويهدّد غيرهم ، أو خدّرتهم الثروات والرفاهية فلم يعودوا يشعرون بآلام الفقراء والمسحوقين في الأرض .

والعالم الإسلامي غارق في ضعفه وهوائه ، يقف حائراً بين عجزه البيّن ومحاولاته الفاشلة ، وتمزّقه وامتداد الفتن إليه .

ولكن الغرب ما زال يدوّي بإعلامه الواسع وضجيجه الطاغي يغذّي الفتن والفساد والظلم في الأرض .

لقد امتدّ الإعلام الغربيّ بعامّة والأمريكي بخاصة إلى مناطق متعددة في العالم ، يحمل زخرف الحضارة الغربية مثل : الأغاني والرقص وأفلام الجنس وغيرها ، امتدت مظاهر هذه الحضارة إلى التّبت وإلى أعماق منطقة الأمازون وإلى قبائل الهنود الحمر ، فهناك خمسمائة (٥٠٠) قمر صناعي تبث برامج "الحداثة" على شرق روسيا وإلى إيران ، والشباب المراهقون هنا وهناك انتزعتهم هذه البرامج من حياتهم السابقة ورمتهم في أجواء "الروك أند رول" وغيرها .

لقد أصبحت "والت ديزني" تغزو العالم بما فيها من تنوّع يجذب النفوس وبما يوفّره الإعلام الأمريكي من سبل الانتشار ، وعلى نفس الأسس انتشر "ميكي ماوس" متفوقاً على رموز كثيرة بالشهرة

والانتشار .

"روبرت مردوخ Rupert Murdouch" يملك أقماراً صناعيةً يبث بها صوراً لحسناوات صينيّات وكوريات وهنديات وعربيات على منطقة واسعة من العالم العربي (١) ، وهناك مؤسسات إعلامية عملاقة أخرى تتنافس كلها على بثّ ما يدغدغ الأحلام ويولد ما يسمى "Tittytainment" إثارة الأهواء وتفلّت الأحلام ، منها : مؤسسة الألماني : "Bertlsman" ، ومنافسه "Leokirch" و "Silvio Berlusconi" ، و كذلك مغنّو الأوبرا : "Tenvee" و جوسيه غاريراس : "Jose Carreras" ، وبلاتشيدوا دومنغو ، و لوسيانو بافاروتي : "Lciano Pavarotti" يعطون لكل بلد أغنيته وموسيقاه المحبّبة له ولشبابه المراهق ، لتخْلُبَ لُبّهم وتُغْرقهم في أهوائهم وشهواتهم ، يضاف إلى ذلك الدعاية الإعلامية الواسعة لمباريات كرة القدم وكرة السلة والرياضة بعامة .

لقد أصبح الإعلام طوفاناً يلهبُ الشهوات ويقتل العزائم ، ويفسد الفطرة ، ويميت النخوة ويقتل الوقت ويخدر النفوس .

هذا الطوفان الإعلامي الممتد على مساحة الكرة الأرضية من التبت إلى غابات الأمازون ، ومن القطب الشمالي إلى القطب الجنوبي ، لا شكّ أنه أوجد نوعاً من الميول المنحرفة والطباع الفاسدة المتقاربة ، كأنها تبني في الأرض عولمة خاصة بها ، يمكن أن نسميها : "عولمة الإفساد والتدمير" ، وقد تُنْشئ بين أناس هنا وأناس هناك علاقات تقوم على المتع الرخيصة والفتن الكثيرة .

وليست الأفلام والصور وبضاعة الإعلام وحدها تنشر الفتن والفساد ، فهنالك جوّالون وممثلون وسائحون يُسْهمون في ذلك

(١) انظر : فخ العولمة : ص/٤٧ .

النشاط ، ومعهم الممثلات والسائحات ، وأصبحت السياحة باباً من أبواب الفتنة والإفساد !

ولقد نشأت مدن تحمل زخارف هذه الحضارة ، ففي كوالامفور عاصمة ماليزيا قامت أعلى ناطحات سحاب في العالم ، وقامت بكين وشنغهاي يعلو فيها البناء وتعلو الناطحات بدلاً من برلين كذلك ، وحلّت بانكوك محل ديترويت في صناعة السيارات ، وأخذت اليابان تنتج سياراتها في تايلاند ، وأصبحت "تايبيه" وريثة وادي السيلكون ، وأصبحت بومبي تنتج من الأفلام أضعاف ما تنتجه هوليود .

ومدينة مثل : "شنغهاي" أصبحت تتطلّع لتكون المركز الاقتصادي الأول لتنافس طوكيو ونيويورك ، فتقوم منافسة هوجاء وتثور عواصفها بحيث لا يبقى مكان للنائمين والخاملين ، صراع عنيف وتنافس رهيب على مراكز دنيوية من تجارة وبناء وصناعة ، لا تحمل معها رحمة على الضعفاء والمساكين ، وكأن العالم أصبح سوقاً تجارية واحدةً ! فهل هذا لخير الإنسان ؟! كلا ! لأن هذه السوق يقف فيها كبار المجرمين في الأرض يدوسون كل خامل وضعيف يقترب من السوق ومفاسده وشروره ، فهي عولمة محصورة بفريق من البشر ، فلا مجال لنموّ مطّرد يضم البشرية كلها ، إلا نموّ الفساد والفتن بأشكالها المختلفة المتجددة ، إنها عولمة أهواء وأصحاب الأهواء .

وبناء "القرية الأولومبية العالمية : Global Olympic Village" اقتضى هدم منازل الفقراء المحشورة بين المباني الشامخة للشركات الكبرى ، ولم تستطع الألعاب الأولومبية بكل ما فيها من متع أن تُخْفي زيف صداقة الشعوب ، الصداقة الذي تُغَنّيها قصائد وأغان متنوّعة.

إنّ جميع المدن الشبيهة بأتلانتا بالتقنية العالية من ناحية ، وبعدم الاهتمام بالمشاعر الإنسانية الحقيقة ، أصبحت أشبه ما تكون

قلاعاً للاقتصاد وقلاعاً للثراء الطاغي، يحيط بها موج من البشرية الفقيرة.

ربما كانت لا مبالاة الأثرياء في أحضان الثراء الفاحش لا مبالاة مخجلة، ولكنها تحوّلت مع الاستمرار والمداومة إلى كبر وغرور، و وهم لابدّ أن ينجلي مع الأيام على سنن لله ثابتة في الحياة الدنيا.

إنك تجد أن (٣٥٨) إنساناً مليار ديراً فقط في العالم يمتلكون ثروة ٢,٥ مليار من سكان المعمورة، ومع تحول اللامبالاة من خجل إلى كبر وغرور، أخذت المساعدات التي تقدمها الدول الصناعية إلى الدول النامية تنخفض شيئاً فشيئاً.

مساعدات ألمانيا انخفضت من (٠,٣٤) إلى (٠,٣١)، ومديونات الدول النامية ارتفعت منذ سنة ١٩٩٦م إلى ١,٩٤ ألف مليار دولار، أي ضعف ما كانت عليه قبل سنوات (٢).

هذه صورة مأساوية من العولمة، فبهذه العولمة يزداد ثراء المجرمين ويزداد فقر المعوزين، فأصبح الناس يلتفتون إلى مخرج لا يجدونه إلا في حروب بين الدول، فتلك تَصُبُّ ثمرتها في جيوب كبار المجرمين، ولكنهم يفتنون في داخل بلدهم لتقوم حروب أهلية، كما حدث في جنوب إفريقيا، فبعد انتهاء سياسة التمييز العنصري بعام واحد قتل سبعة عشر ألفاً في سياق الصراع الداخلي العنصري (٣).

أما القارة الإفريقية فقد غزتها عولمة الفقر والمرض، كبرى مدنها: "أبيدجان، ولاغوس، وفريتاون"، والكاميرون، وسيراليون، حيث يختفي الأمن فيها مساءً، وينتشر في إفريقيا "الإيدز" و ١٠٪ من

(٢) المصدر السابق: ص/٦٠-٦١.

(٣) المصدر السابق: ص/٦٣.

سكان عاصمة سلحل العاج مصابون بالإيدز - مرض نقص المناعة -، إن إفريقيا تُبيّنُ لنا خريطتها وأوضاعها السياسية أكبر الأمثلة على أكاذيب وبطلان العولمة مما يشعل في معظم مناطقها حروباً فتاكة، كما حدث في رواندا وبورندي، ودول أخرى معرّضة للحروب أيضاً، مثل زائير ومالاوي وغيرهما، ويمثّل سكان إفريقيا أفقر سكان الدنيا ومع ذلك تشهد أعلى نسبة لزيادة السكان، ومناطق أخرى من العالم تشكو من ندرة المياه وخاصة في بعض بلدان العالم الإسلامي، إلا أنّ هذا الجزء من العالم، جزء العالم الإسلامي، سيجد من إسلامه قوة توفّر عطفاً على المقهورين والمظلومين، فيصبح الإسلام أكثر جاذبية، فالإسلام دين مستعدّ للمنازلة والجهاد.

صموئيل هنتجتون كتب مقالاً أولاً ثمّ أصدر كتاباً بعد ذلك حول "صراع الحضارات"، ويقول في ذلك إنّ المستقبل سيتحدد من خلال صراع الحضارات، ولكننا نقول: إنّ المستقبل يحدّده الله سبحانه وتعالى من خلال سنن ربّانيّة ثابتة، أغفل الناس قلوبهم عنها وأغمضوا أعينهم (٤).

ولا يقتصر الأمر على إفريقيا وأحوالها السيئة، فانظر إلى الهند يموج فيها أكثر من مليار إنسان، وتنمو المدن دون تخطيط واع، مما يفسد البيئة بالدخان من وسائل النقل، مما يولد أمراضاً في الأطفال كالتهاب القصبات، ويموت كل سنة ٢٢٠٠ إنسان في حوادث المرور، وبومباي مثل واضح، فمع الأثرياء يعيش فقراء مسحوقون، وعلى البلدية أن تجمع يومياً ألفي طن من القمامة، والمدينة بحاجة إلى مائة ألف بيت خلاء، وتحار البلدية كيف تدير شئون المدينة، خاصة وأنها

(٤) المصدر السابق: ص/٦٤-٦٥.

لا تستطيع أن توفر أكثر من ثلثي الماء الضروري ، ولذلك ينزح إلى المدن الكبيرة أولئك الذين يجدون فرصة عمل ، ولكن فقراء المدن الكبيرة في وضع أسوأ من الفقراء النازحين ، فإن وجد النازحون فرص عمل ، فالمقيمون لا يجدون (٥) .

أحد الوزراء المسئولين في أوربا أشار على رئيس وزراء الصين أن يلتزموا بحقوق الإنسان ، فأجابه : هل أنتم في أوربا قادرون على إيواء (١٠-١٥) مليون صيني سنوياً تؤمنون لهم المسكن والطعام ؟!

كثير من المسئولين والمفكرين تحدّثوا عن مأساة العالم المعاصر ، ولكن هل أسهم هؤلآء في معالجة مشكلات الفقر والمرض والجوع ؟!

لقد أصبح من الواضح أن حضارة الغرب كلها ، حضارة أوربا أو حضارة أمريكا أو غيرها فشلت فشلاً تاماً في بناء حياة نظيفة آمنة للإنسان على الأرض ، لقد عمّ الخوف والهلع الناس من لهيب الحروب التي أشعلت داخلياً أو خارجياً ، وظلت مآسي الإنسان تزداد وتزداد ، وجميع الوعود التي أطلقها مسئولون في أمريكا أو أوربا لم يتحقق منها شئ .

وأصبح الواقع المزري كأنه يقول : من يستطيع إنقاذ نفسه فلينقذها ، إنّ الرأسمالية ونموّها المرعب ، والديمقراطية وإعلامها المدوّي لم تحقق للإنسان أمناً أو راحةً أو معالجة الفقر والمرض !

أصبحت حقيقة التطور الذي استغلّ كلّ التقدم العلمي تدهوراً اقتصادياً وتدميراً للبيئة ، وانحطاطاً للثقافة ، إن ٢٠٪ من سكان العالم يملكون أكثر من ٨٤٪ من الناتج الإجمالي للعالم ، وأكثر من ٨٤٪

(٥) المصدر السابق : ص٦٦ .

من التجارة العالمية الدولية ، وازدادت الفجوة بين الأغنياء والفقراء ، وفشلت المساعدات الاقتصادية للتنمية التي كانت تعد بالعدل والإنصاف ، وكأنّ العالم وقع بين فكّين : فك العولمة وفك التفكك والتمزق ، قوتان متعاكستان ! (٦) .

أما بالنسبة للموارد الطبيعية فما زالت النسبة القليلة من الناس تستأثر بالنسبة العالية من الموارد ، فموارد الطبيعة خلقها الله ولم يصنعها الإنسان ، فهي للناس كافة ؛ للإنسان ، أما وعود بعض الدول بتخفيض التلوّث البيئي الناتج عن ثاني أكسيد الكربون في الدول الصناعية ، لم يتحقق منه شئ ، ومضت الدول الصناعية في سياستها الرأسمالية لتزيد من التلوث غير آبهة بمقررات مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة في ريودي جانيرو سنة ١٩٩٢م .

وبعث الله من عنده ابتلاءً ونذيراً للناس حتى يتفكّروا ويرجعوا عن غيّهم وفتنتهم ، فكان طوفان "تسونامي" ، وطوفان "جاوة" ، وطوفان سواحل أمريكا ، وكذلك الزلازل والبراكين ، وما زال هذا مستمراً ، وما زال بعض الناس يعزون كلّ ذلك للطبيعة ! ما هي الطبيعة ؟! كيف تفكر وكيف تعمل ؟! نسوا أن الله خال كل شئ ، وخالق الطبيعة ! وكلّ شئ بأمره وقضائه وقدره على حكمة بالغة !

كتّابٌ كثيرون استعرضوا هذه المآسي ، ومؤسسات أيضاً استعرضت ذلك ، مثل : معهد واشنطون للثروات الطبيعية العالمية ، مؤتمر قادة الدول السبع الأقوى اقتصادياً ، "مؤسسة" سميث سونيا : "Smith Sonia" في واشنطن ، فكانت ترى أن الجهود المبذولة ستبدو

(٦) المصدر السابق : ص٦٧-٧٩ .

نتائجها نجاحاً أو فشلاً في التسعينيات ، وهـذه الجـهود وسـقوط جـدار برلين ، كلّ هذا كان يعطي أملاً بأن يُفيق المجرمون ليصرفـوا جـهودهم على حلّ مشكلات المعمورة ، ولكن لم تحل المشكلات ، لسبب رئيس هـو أنّ المشـكلة الكـبرى هـي في الأنفـس ، في أنفـس الظـالمين ، وفي أنفس المظلومين التابعين المستسلمين ، فالعدوّ الحقيقي هو أنفسنا .

والكارثة الأخرى التي تهدد العالم هي : القمح ! فـالصين لأول مرة تستورد القمح ! فإذا جاعت الصين من سيطعمها ؟!

انخفض مخزون احتياطي القمح والـذرة والأرز وسـائر الحبـوب سنة ١٩٩٥م ، وفي سنة ١٩٩٦م أصبح المخزون المتوافـر يكفـي مـدة (٤٩) يوماً ، أين الخلل ؟! فالله سبحانه وتعالى خلـق الأرض وخلـق فيـها مـا تحتاجه البشرية إلى أن تقوم الساعة :

﴿ قُلْ : أ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُوْنَ بِـالَّذِيْ خَلَـقَ الأَرْضَ فِـيْ يَوْمَيْـنِ * وَتَجْعَلُوْنَ لَهُ أَنْدَاداً * ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِيْنَ * وَجَعَلَ فِيْهَا رَوَاسِـيَ مِـنْ فَوْقِهَا * وَ بَـارَكَ فِيْـهَا * وَ قَـدَّرَ فِيْـهَا أَقْوَاتَـهَا فِـيْ أَرْبَعَـةِ أَيَّـامٍ سَـوَاءً لِّلسَّائِلِيْنَ ﴾ (فصلت/٩-١٠) .

فالله سبحانه وتعالى قد جعل في الأرض أقواتـاً للبشـرية كلـها وبارك فيها ، فلِمَ تكون مجاعة أو فقراء أو انخفاض في مخزون القمـح ؟! إنه الإنسـان نفسـه يظلـم نفسـه ، و هـذه صـورة مـن ظلـم الإنسـان للإنسـان ، إنـه ابتـلاء وتمحيـص للرأسمـاليين والديمقراطيـين والقـادة والأثرياء الغارقين في ثرائهم ، لا يسـمعون أنّـات الجوعـى ولا صـراخ المرضى ، ولا يرون المآسـي في الأرض ، سُـدّتْ أبصـارهم وأسماعـهم ، فاليابان وكوريا الجنوبية وتايوان حولـت ٤٠٪ مـن الأراضـي الزراعيـة المخصصة لزراعة الحبوب إلى مصانع ، وارتفعت أسعار الحبوب عالميـاً

، الصـين تسـتورد سـنة ٢٠٠٠م ٣٧ مليـون طـن قمـح ، مـع أن مجمـوع صادرات العالم من الحبوب (٢٠٠) مليون طن (٧) .

ونتيجة للفقر والبطالة والحروب اشتدت هجرة الكثيرين مـن أوطانهم إلى بلاد يحلمون أن يجدوا فيها العسل ، قبل قـرن هـاجر مـن إنجلترا (١٨) مليون مهاجر مما يعادل سبعة أضعاف سكان لندن آنـذاك ، واليوم تزداد أزمة الفقر مما يدفع إلى هجرة جديدة ! ولكـن إلى أيـن ؟! أين توجد أحلام العسـل ؟! والهجـرة اشـتدت مـن الجزائـر والمغـرب وتونس ، وأوربا تحاول منـع الهجـرة ، ولكنـها لا تسـتطيع ذلـك ، لأن ملايين الفقراء حشود تقتحم منافذ للهجرة أو تحاول أن تشق لها منافذ !

يضاف إلى ذلك كله امتداد الجريمة بمختلف أنواعـها في الأرض : السرقة والقتل ، الفواحش ، المخـدرات ، وامتـداد الظلـم ، وفقـدان الأمـن ، وامتـداد العـدوان ونـهب الشـعوب ! لقـد ظـهر الفسـاد في الأرض واشتد خطره !

البشرية اليوم تعيش في خطر حقيقـي يـهدّدها ، وتكـاد تقـف مشلولة أمـام ذلـك ، لم يشـلّ قواهـا إلا أهواؤهـا ، فعميـت الأبصـار وسدّت الأسماع ، وكأنه لم يعد أحد يفكر في الإنقاذ ! غرق الجميع !

إلا صيحة واحدة تدوّي من معظم أنحاء الأرض : الله أكبر ! الله أكبر ! لتوقظ ولتنذر ! فهل من مجيب ؟! فهل من مجيب !

***

(٧) المصدر السابق : ص/٨١-٨٤ .

الخرطوم :
عاصمة إسلامية أخرى تحت النار

بقلم : معالي الأستاذ الدكتور عز الدين إبراهيم
(٣) المستشار الثقافي لسمو رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة)

٤- مشكلة الجنوب ، وهل لها علاقة بتطبيق الشريعة :

يقصد بجنوب السودان ، عند دراسة مشكلته مع الشمال ، ذلك الجزء الذي يقع جنوب خط ١٠ ، والذي يمتدّ من ذلك الخط جنوباً حتى شمال بحيرة (ألْبرت) في أوغندا ، ويشتمل من حيث التنظيمات الإدارية على ثلاث مديريات هي : بحر الغزال ، والاستوائية ، وأعالي النيل .

ولا يمثل هذا التقسيم حدوداً عرقية كما قد يتوهم البعض ، وإنما هو تقسيم رسمته السلطة السياسية التي حكمت السودان ، ابتداء من الحكم الثنائي ، المصري الإنجليزي تسميةً ، والحكم الإنجليزي حقيقةً ، ولا ننكر أن الجغرافيا قد تبرر التقسيم ، نظراً لأن هذه المنطقة تبدأ شمالاً بالسدود ، وهي مليئة بالحشائش أو المستنقعات ، وتليها المنطقة الاستوائية المليئة بالغابات والغنية بالأخشاب .

والغريب أن ياقوت (ت/٦٢٦هـ) في معجم البلدان ، لم يتجاوز في زمانه هذه الحقيقة الجغرافية عندما وصف نهر النيل من شماله إلى جنوبه ؛ فقال : "وأجمع أهل العلم أنه ليس في الدنيا نهر أطول من النيل ، لأن مسيرته شهر في الإسلام (يقصد مصر) ، وشهران في بلاد النوبة (يقصد النوبة من شمال السودان حتى بداية الجنوب) ، وأربعة أشهر في الخراب حيث لا عمارة فيها" (يقصد الجنوب) - المعجم : ج/٥ ، ص/٣٣٤ - ، والذي لم يعلمه ياقوت أن ما سماه (الخراب) هو وصف قديم لمنطقة غنية بالأخشاب والثروة البحرية وبعض الزراعة ،

وكذلك البترول .

وتبلغ مساحة الجنوب ربع المساحة الكلية للسودان ، ويمثل سكانه ربع السكان تقريباً ، فلا يمكن تجاهله أو التهاون في الوفاق معه ، ومعاملته بنفس الاهتمام الذي يوجه إلى شمال البلاد ، ولا عبرة بأن السكان تغلب عليهم الأصول الزنجية ، كما أن نسبة عالية منهم ما زالت وثنية ، لأن السودان متداخل الأعراق كما ذكرنا ، وكل زنجي فيه عربي بالاختلاط الزواجي ، والعكس صحيح ، وقد جمعت الطرفين ثقافة السودان الموحدة ، ثم إن السودان متعدد الديانات وإن غلب عليه الإسلام .

وقد عومل جنوب السودان بما عومل به شماله في أثناء الحكم المصري العثماني ، ومن حسنات ذلك الحكم تحريم تجارة الرقيق التي كانت قائمة ، وكان ذلك في عهد الخديوي سعيد سنة ١٨٦٠م ، على أن السودان كله كان في حاجة إلى تنمية شاملة ، فلا يحسب تخلّف الجنوب إلا بمثل ما يحسب تخلف الشمال ، فالمشكلة كانت عامة .

إلا أن المشكلة الحقيقية للجنوب بدأت مع الحكم الإنجليزي كما ذكرنا سنة ١٨٩٨م ، إذ دخل هذا الحكم باستراتيجية قاطعة تهدف إلى جعل الجنوب (منطقة مقفولة) لا يجوز الدخول إليها أو الخروج منها أو التعامل التجاري معها إلا بموافقة خاصة من الإدارة الإنجليزية التي حرصت على الفصل ، وسُمح لليونانيين وبعض الأوربيين والسوريين المسيحيين بالتعامل مع الجنوب ، وحُرم من ذلك من سُموا (بالجَلاّبة) ، وقد فسرها الدكتور مدثر عبد الرحيم في كتابه : (مشكلة جنوب السودان) ص/٤٣ بأنهم "العرب المسلمون من السودانيين الشماليين" ، ولا أدري كيف صيغت هذه الكلمة ، فربما تكون جمع (جَلاّب) وهو التاجر الذي يجلب الجمال إلى السوق لبيعها ، وربما

مشتقة من (الجِلْباب) بمعنى لابسي الجلابيب ، لأن الإنجليز حاربوا ارتداء الجلباب السوداني ، بل وأمروا بحرق الموجود منه في الدكاكين ، كما نفّروا الناس من الحديث باللغة العربية ، وحصروا الحديث في اللهجة المحلية أو اللغة الإنجليزية ، ونفروهم أيضاً حتى من الأسماء العربية .

وشجعت الإدارة الإنجليزية الإرساليات التبشيرية المسيحية ، وقدمت لها الدعم المالي ، بمبرر قيامها بأنشطة تعليمية ، حيث كان التعليم نفسه ضرباً من التغريب والتبشير ، وتشجيع التبشير نشاط مؤكد ، لاحظه حتى الآن بعض المنصفين من المؤرخين غير المسلمين مثل الدكتور يونان لبيب رزق في كتابه : (السودان في عهد الحكم الثنائي) ص/٢٠٩ مستشهداً بأمور منها محاضرة ألقاها (كِتْشنِر) قائد قوات الغزو للسودان يحث فيها على تقوية القاعدة المسيحية في مواجهة التأثير الإسلامي المتسارع .

وقد اجتهد السودانيون الشماليون في مقاومة هذه السياسة ، وكذلك قانون الجوازات لسنة ١٩٢٢م ، الذي يقويّ منهج (المنطقة المقفولة) ويقننها ، كما تجلى ذلك الاجتهاد في مؤتمر الخريجين سنة ١٩٤٤م ، الذي جعل في صدر قراراته المطالبة بإلغاء قانون المناطق المقفولة ، ورفع القيود عن حرية التجارة مع الشمال ، وإلغاء المعونات الممنوحة للإرساليات ، وتوحيد البرامج التعليمية بين الجنوب والشمال .

ولكن السياسة البريطانية المعروفة بعبارة (فرّق تسُدْ) هي التي سادت فعلاً ، وزاد من فعاليتها أن الجنوب بعد الاستقلال لم يلق ما يستحقه من رعاية كافية لرأب الصَّدْع ، وعلاج الخلل الذي أحدثته سياسة العزل الإنجليزية ، وظل الجنوب يرفع شعارات المعتدل منها

المطالبة بالمساواة وعدم التهميش ، والمتطرف بدعوى (الإفريقية) في الجنوب في مقابل (العروبة) في الشمال .

وازداد الموقف سوءاً بانبثاق حركة التمرد العسكري في الجنوب التي تحولت تدريجياً إلى مقاومة مسلحة ، وتكون جيش سمي جيش تحرير السودان بقيادة جون جارانج ، وقامت حرب أهلية بين الجنوب بجيشه هذا ، وبين الدولة وراح ضحيتها على مدي السنوات التالية أكثر من مليون من الأرواح ، ثم جاءت حلول متتابعة ، بعضها سلمي باسم الإقليمية والفدرالية بمعني تمتع الجنوب باستقلاله الذاتي في إطار الدولة الموحدة ، وبعضها غير سلمي باسم التصفية العسكرية في مواجهة التصلب العسكري ، وبالقراءة المحايدة المنصفة للتطورات يبدو أن التفاهم كان ممكناً ، وأن الشمال وغالبية الجنوب كانت ترغب فيه ، لو لا تدخلات شتى من الخارج ، حرصت على زيادة ، فأمدت حركة التمرد وجيش تحرير السودان بالدعم المالي والعسكري باستمرار ، كما أمدته بالدعم الأدبي بتزويد الجنوب بالمساعدات الإنسانية التي أريد بها إشعارهم بأن العالم المسيحي يتعاطف معهم أكثر من مواطنيهم السودانيين في الشمال الموصوفين بالعروبة والإسلام ، ولا يمكن أن ينسى مشاهدو الفضائيات رئيس أساقفة الكنيسة البريطانية الذي تجوّل في جوبا وضواحيها وهو يحمل صليباً صنعه من أغصان الشجر ، وكأنه يقول : إلى هذا تنتمون ، وليس إلى الهلال في الشمال ، وقد كان هذا التصرف موضع انتقاد حتى في إنجلترا نفسها التي تأخذ نفسها في التعبير السياسي بالرزانة غالباً ، وتتوقع ذلك من رجال الدين الكبار بصفة خاصة .

وتزامن مع هذا الجو المتوتر بين الشمال والجنوب ، أن اتخذت الحكومة السودانية قراراها بتطبيق الشريعة الإسلامية بما في ذلك

قانون العقوبات والحدود في سبتمبر سنة ١٩٨٣م ، فأثار ذلك مخاوف الجنوبيين الذين لم يكونوا مهيئين لهذا القرار ، واتخذه قادتهم ذريعة لزيارة الفتنة ، وإقناع المجتمع الجنوبي الذي يدين قطاع كبير منه بالمسيحية أو الوثنية ، بأن عرب الشمال يريدون فرض أحكام دينهم وتقاليدهم العربية عليهم .

ومع أن حكومة السودان قد تحفظت وراعت ظروف الجنوب بتبني فتوى بإعفاء الجنوب من تطبيق الشريعة الإسلامية في إطار تمتعه بالإقليمية والحكم الذاتي ، فإن استغلال الحدث استمر ، واعتبر بمثابة "قميص عثمان" ، ورفعوه على أسنة الرماح ، وأصبحت محاربة تطبيق الشريعة حتى في الخرطوم مطلباً غريباً من مطالب الجنوب ، وكأن دفاع القلية ضد ما لا يلائمها ، يبرر لها أن تعارض الأغلبية في تطبيق ما يناسبها وما تؤمن بفرضيته الدينية ، وجدواه المجرّبة .

وإذ تلزم هنا كلمة عن جدلية تطبيق الشريعة ، نقول : إنه لا يوجد مسلم ملتزم بعقيدته يستنكر تطبيق الشريعة ، ولكن عقلاء المسلمين قد نبهوا إلى أن التطبيق في أي مجتمع لا يُفرض فجأة ، ولابد أن تسبقه فترة تحضير وتهيئة وإرشاد ، وهذا ما نادى به مولانا أبو الأعلى المودودي ، وهو أحد كبار العلماء ورائد كبير من رواد تطبيق الشريعة ، وكان ذلك في أبريل سنة ١٩٧٨م ، حينما أعلنت باكستان عن نيتها في تطبيق الشريعة الإسلامية ، فأذاع رحمه الله أحاديث من الإذاعة الباكستانية ، دعا فيها إلى التحضير المتأني قبل التنفيذ ، بما في ذلك تنوير الرأي العام وتثقيفه وشرح مزايا تطبيق الشريعة الإسلامية له ،كما دعا إلى أن يكون التطبيق شاملاً لجوانب الشريعة المتعددة باعتبار تكاملها ، وعدم الاقتصار على قانون العقوبات ، وبين أن

إيقاع العقوبة يتطلب تلبية حاجات الإنسان الطبيعية وحمايته من الغواية والفتن قبل ذلك ، وقد جمعت هذه الأحاديث في كتاب بعنوان : (حول تطبيق الشريعة الإسلامية في العصر الحاضر) وهو مترجم إلى العربية ويتحتم على كل من يخطط لتطبيق الشريعة في مجتمعه أن يطلع عليه .

ومقصود المودودي أن الشريعة الإسلامية مجموعة من التشريعات وليست تشريعاً واحداً ، ففيها التشريعات الدستورية والمدنية والمالية والأحوال الشخصية ، وأصول المحاكمات والإجراءات ، ثم فيها بكل تأكيد التشريعات الجنائية بما في ذلك عقوبات الحدود والقصاص والتعزير والديات ، ولا يعقل أن تؤخر جميع هذه التشريعات ويقدم منها تشريع الحدود وحده ، ويزيد الأمر تعقيداً أن يُختار من بين الحدود حد الردّة بالذات للبدء به ، كما حصل في مصر في السبعينات ، ومعلوم أن في مصر أقلية قبطية ذات تاريخ وحجم ملحوظ ، فأدى عرض الموضوع بهذا الترتيب إلى إشكالات وتحفظات انتهت بالتأجيل في نظر الموضوع برمته .

وفي موضوع الحدود بالذات ، تقتضي عدالة التطبيق أن يتبنى المشرع المعاصر الصيغة الراجحة فيها ، فهناك اختلاف رأي في حد الرِّدَّة ، وحد الرجم أو الجلد للمحصَن ، وهناك تفصيل في بيان الشبهات التي تُدرأ بها الحدود (أي تُدفع فلا تنفذ) ، واحتمل التعليق في بعض الأحيان عند عموم البلوى بشيوع الفساد وظروفه بالنسبة لبعض الجرائم ، كما أن هناك مجالات لإسقاط الحد أو التعويض بالتعزير عند التقادم أو التوبة ، وكل ذلك قد أشبع بحثاً في كتب الفقه على أيدي علماء الأمة الأفذاذ في مختلف العصور ، كما أن كثيراً من

العلماء المحدثين قد أتوْا بإضافات هامة ، وزادوا الدراسات بياناً وتفصيلاً ، ومنها دراسات المستشار على علي منصور رحمه الله ، التي قدمت للجماهيرية الليبية في بداية السبعينات حينما فكرت في تطبيق الشريعة ، وهي مطبوعة ، وعلى ولي الأمر ، حينما يحصل التطبيق بعد فترة طويلة من التوقف ، أن يرجح بين الآراء ، وربما يدعو إلى اجتهادات جديدة ، ثم يُصار إلى التطبيق بتوفيق الله ، والخلاصة هي أنه : نعم للشريعة ، ونعم مرتين للتطبيق الحكيم غير المتسرّع ، وقد أخذ السودان نفسه بالعزيمة في تطبيق ما شرع الله ، وحرر مواقفه بالتدقيق والترجيح واستمرار الاجتهاد ، فلم يظلم نفسه ولا غيره ، ويظل باب الاجتهاد والتحسين أمامه مفتوحاً ، لدفع أي مَضرة تُلحظ ، وجَلْب كل منفعة يُتطلع إليها .

على أن موضوع الشريعة في الحقيقة لم يُوجد الخلافات بين الجنوب والشمال ، وإنما كان "القميص" كما قلنا ، ليس غير ، أما الخلافات الجوهرية بين الجنوب والشمال فهي في تقاسم السلطة والثروة والمساواة في التنمية ، فإذا تم الاتفاق حول هذه الأمور ، وتخلّص الفُرقَاء من غوايات الدخلاء ، فإن التفاهم أرجى من الخلاف ، وأكثر نفعاً للطرفين من الخصومة .

أما وقد توصل الطرفان إلى اتفاق سلام في نيفاشا في مايو سنة ٢٠٠٤م ، فمن الواجب ألا نخوض فيه إلا بالتي هي أحسن ، وأهل مكة أدري بشعابها ، والتطفّل بالآراء مزايدة أو مناقصة لا يؤدي إلى خير ، غير أننا لا نُخفي آمالنا بأن يكون الاتفاق مؤدياً إلى مزيد من التلاقي ، وألا يكون قد انطوى على نية للافتراق بعد ست السنوات التي سيجري بعدها الاستفتاء ، وقد جربت إندونيسيا بضغوط خارجية

الاستفتاء في (تيمور الشرقية) دون تحضير مناسب ، بل بأسوأ تحضير ، وهو إطلاق يد بعض الميليشيات المسلحة ضد السكان المؤيدين للانفصال ، فحصلت الكارثة التي لا نريد تكرارها ، وانفصلت (تيمور الشرقية) .

٥- مشكلة دارفور ونُذُر التدخلات الأجنبية :

دارفور هي المنطقة التي تقع غرب خط طول ٢٧ ، وهي منطقة شاسعة تبلغ مساحتها مثل مساحة فرنسا ، وقد تعود الكتاب الغربيون أن يصنفوا سكانها إلى عرب وزنوج ومولدين ، ولعل هذا صحيح من حيث الأصول ، إلا أن الحقيقة التي يؤكدها أهل دارفور أنفسهم ، ممن ترجع أصولهم إلى قبائل عربية أو زنجية إفريقية ، أن الاختلاط هنا ، كما هو في المناطق الأخرى من السودان ، قديم ثم ساعد على ممارسته دخول السكان في دين الإسلام الذي لا يجيز العصبيات العرقية .

ولدارفور كيانها الجغرافي والسياسي المتميز ، وإن كان اتصالها بجيرانها ظل مستمراً ، ويتضح هذا بوجه خاص في الشمال تجاه (تشاد) حيث تتوحد القبائل عرقياً ، وإن كانت السكنى موزعة بين تشاد ودارفور ، وكذا الحال مع الشرق حيث تتداخل القبائل بين وسط السودان ودارفور .

وإذ تعتمد الحياة الاقتصادية في دارفور على الزراعة والرعي ، فقد تميز سكان دارفور بأنهم مزارعون ورعاة ، وأهم حيواناتهم الخيل والإبل ، وتقوم بينهم ، على مر العصور ، ما يحصل بين المزارعين والرعاة من منازعات حول الأراضي ومناطق الخصوبة والكلأ ، إلا أن هذه المشكلات كانت دائماً تُسوى وفقاً للتقاليد القبلية والأعراق الإسلامية التي أثبتت فعاليتها أكثر من القوانين التي يناط تنفيذها

بإداريين تعينهم السلطة المركزية في الخرطوم ، وتنقصهم الخبرة والحلم والحكمة التي يتمتع بها شيوخ القبائل ، كما حصل في بعض الأوقات.

وفي تلخيص تاريخ دارفور ، يذكر محمد عمر التونسي المتوفى سنة ١٨٥٧م ، في كتابه : "تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان" ، بأن دارفور عاشت معيشة قبلية حتى مطلع القرن الثاني عشر الميلادي ، حيث تأسست ثلاث ممالك إسلامية ، أولاها دولة (التلجو) ، وتلتها دولة (التنْجور) وهي من أصول عربية شمالية ، وقيل : إن الكلمة مشتقة من (التُجار) ،ثم مملكة (الفور) التي استمرت حتى دخول محمد علي باشا إلى دارفور سنة ١٨٧٣م ، وإلى (الفور) تنسب المنطقة ، لأنها كانت داراً للفور ، فصارت التسمية (دارفور) ، وقد يشار إلى سكانها بأنهم (الفَراورْة) .

وكان الإسلام قد دخل دارفور ، كما دخل السودان كله بطريقة يسميها المؤرخون السودانيون (انسيابية) ، نظراً لأنها تمت بالتدريج وبهدوء وعلى أيدي أفراد يعتمدون على الكلمة الطيبة ، والموعظة الحسنة ، وضرب المثل بمحاسن الأخلاق والمعاملة الكريمة التي يحض عليها الدين ، ولذلك كانت الممالك الثلاث التي ذكرناها إسلامية التسمية والصبغة ، وكان لها وخاصة للفور اهتمام بنشر الثقافة الإسلامية ، واستقدام العلماء من الخارج ، وإيفاد الدارسين إلى الأزهر في مصر حيث كان لهم رواق خاص يعرف باسمهم ، وإقامة المعاهد الدينية ، وعمارة المساجد ، وبرز في دارفور علماء ونُسّاك وفقهاء معروفون ، ولم يمنع هذا من وجود بقايا من الوثنيين في الأطراف التي لم تصلها الدعوة الإسلامية ، ولما قامت الحركة المهدية منطلقة من وسط السودان سنة ١٨٨٤م ، أيدتها كردفان ودارفور مما يؤكد الانتماء

الإسلامي في المنطقة برمتها .

والمشكلة التي وقعت في دارفور مؤخراً ، ابتداءً من أبريل سنة ٢٠٠٤م تقريباً ، أي في الوقت الذي وضعت فيه الحرب في الجنوب أوزارها ، هي قيام حركة تمرد سياسية ثم عسكرية ضد الحكومة المركزية في الخرطوم ، بقيادة حركة العدالة والمساواة ، وحركة جيش التحرير (أي باستعارة نفس التسمية من الجنوب) .

ولفهم جذور هذه المشكلة لابد من استحضار ثلاث حقائق تاريخية وجغرافية : أولاها أن منطقة دارفور قد تمتعت بتميزها واستقلالها على مدى التاريخ ، ولم ترتبط بدولة السودان ارتباطاً عضوياً : سياسياً وإدارياً ، إلا منذ الحكم المصري العثماني ، ثم الحكم المهدوي ، ثم الحكم الثنائي ، إلى أن أعلن الاستقلال ، وفي جميع هذه الارتباطات السابقة ، كانت لها اعتراضات ، وانتفاضات ليست بالهيّنة ، وقد تبالغ بعض المراجع السودانية فتسميها ثورات ، وبصرف النظر عن التسميات ، فإن المضمون هو استعداد دارفور للاعتراض أو التمرد على الحكم المركزي في الخرطوم ، إذا أحست أن المعاملة لم تكن عادلة ولم تكن محققة للمساواة .

والثانية : هي أن دارفور بعد استقلال السودان ، وانضوائها تحت رايته ، قد أحست بالتهميش في حجم المشاركة السياسية والرعاية التنموية ، ولم تكن دارفور وحدها التي انفردت بهذه الشكوى ، بل إن مناطق أخرى في الشمال والشرق والجنوب قد اشتكت من ذلك ، وردّت الحكومة على ذلك بأن الاستقلال حديث ، وأن الحكومة المركزية قد أرهقت بالحرب مع الجنوب مبكراً ، ولم تنعم لا بالاستقرار ولا بالرخاء الاقتصادي المأمول والمعين على الرعاية

لجميع مناطق السودان الشاسع على قدم المساواة ، فالتهميش كان وما زال جزءاً من ضعف الإمكانات وعدم توفّر الاستقرار .

والحقيقة الثالثة : أن دارفور مفتوحة من حواليها على علة دول ، وحتى إرتريا البعيدة عنها اتضح أن لها تداخلات ، إن لم تكن لاهتمامها المباشر ، فبسبب ما تمثله من علاقات خارجية غير مرغوب فيها .

وقد زاد الطين بلة ما ثبت من أن دارفور مرشحة لإنتاج بترولي غير قليل وربما لبعض المعادن التي تحرص على احتوائها حصرياً الدول الكبرى ، والزحف نحو دول البترول ولو بالقوة غير المتسترة ، داخل ضمن استراتيجية الدول الكبرى التي لا ترقب لأحد في تأمين احتياجاتها البترولية إلا ولا ذمّة .

وفي طريق الحل ، تمت لقاءات يشوبها سوء الظن من الطرفين ، مما أفشلها سابقاً ، ولا ندري إذا كانت محادثات (أبوجا) في نيجيريا ، باسم الاتحاد الإفريقي ، التي تجري في هذه الأيام (أواخر أغسطس سنة ٢٠٠٤م) ستنتهي بالنجاح ، أم ستمهد إما إلى الفوضى ، وإما إلى التدخل الدولي بعد انتهاء المهلة التي حددها مجلس الأمن ، وهي نهاية الشهر ولو مُددت .

والذي يزيد في الإيلام ، أن مشكلة دارفور ، تقع بين المسلمين وليس بينهم غريب عن الدين أو الدار ، وما دام أهل دارفور لا يتنكرون لوحدتهم مع وطنهم ، كما أعلنوا ذلك ، وما دامت الشكوى من التهميش والرغبة في المساواة في السلطة والثروة والاستحقاقات التنموية عامة وغير مستنكرة ، فمن الواجب على الطرفين سرعة التوصل إلى حلول مرضية ، إذ أن غياب الحلول بالإرادة الوطنية سيؤدي إلى فوضى تشبه ما حصل في الصومال ، أو إلى تدخل أجنبي

كما حصل في إندونيسيا وأفغانستان والعراق .

وثالثة الأثافي المحتملة وقوع السودان في سلسلة من الانفصالات من أطرافه : تبدأ بدارفور ، التي سيتقوى بانفصالها - لا قدر الله - دعاة الانفصال في الجنوب ، وربما تتجزأ أجزاء أخرى من السودان للحاق بهذه النزعة الضارة المضرة ، ليس فقط بالسودان وإنما على دول الجوار أيضاً .

وباستحضار هذه الحقائق ، ندرك خطورة ما حصل في دارفور ، والذي تفاقم بتصارع الميليشيات المحلية المدعومة من قبل طرفي النزاع ، ثم امتداد ذلك إلى نشوب الثّارات القبلية ، واندس بين هذه الميليشيات من سُموا (بالْجَنْجويد) ، وقيل : أن معنى الجنجويد عصابات النهب ، وفسرها بعضهم بأنهم (جِنّ على جياد) ، وفي الجن من سماهم القرآن الكريم (القاسطين) وهم الذين لا يرعون العدالة ويحيدون عن الحق ، وسواء أكانوا بشراً أمْ بالاستعارة جِناً ، فهم أشرار ، وما صنعوه لا يقره دين أو وطنية ، ولا يتفق مع الطبيعة السودانية .

وازداد الأمر سوءاً بالاعتداء على المدنيين ، وسقوط الآلاف من الضحايا ، وهجرة ما يقرب من المليون إلى الدول المجاورة وخاصة تشاد ، وتأخر وصول الحاجات الضرورية للناس مما سبب المآسي وخاصة للشيوخ والأطفال ، وبولغ في وصف ما هو حاصل ؛ فقيل : إنها إبادة جماعية Genocide كالتي وقعت في رواندا ، والحقيقة غير ذلك ، وإن كان الحاصل مؤسفاً ومأساوياً بجميع المقاييس ، وما تعرضه الفضائيات من مظاهر الفوضى والجوع والفزع والقصور في مخيمات اللاجئين ، يكفي لإثبات المأساة بمستويات غير مقبولة ، مما يمكن أن يعطي المبرر للتدخلات الأجنبية .

(يتبع)

***

الفقـــه الإسلامي :

نظرة الإسلام إلى الفقر والفقير

بقلم : الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد
(Email:ashmon59@yahoo.com)

لا ينظر الإسلام إلى الفقر على إنه عيب اجتماعي أو ذلة للفقير ... (١) ومنقصة من كرامته فقد علم الإسلام أبناء هذا المجتمع ومنهم الفقير نفسه إن الكرامة والرفعة فيه ليست بالثروة وما يملك المرء من عقار ومنقول ومن فضة وذهب بل بالإيمان والعلم والعمل الصالح والتقوى كما في قوله تعالى في سورة المجادلة ؛ آية /١١ : ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا مِنْكُمْ * وَالَّذِيْنَ أُوْتُوْا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ ، وقوله تعالى في سورة الزمر ؛ آية /٩ : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِيَ الَّذِيْنَ يَعْلَمُوْنَ * وَالَّذِيْنَ لاَ يَعْلَمُوْنَ ﴾ ، وقوله تعالى في سورة غافر ؛ آية /٥٨ : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيْرُ وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا وَ عَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ وَلاَ الْمُسِيْءُ ﴾ ، وقوله تعالى في سورة الحجرات ؛ آية /١٣ : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ .

ولقد كان الناس في المجتمع العربي الجاهلي يقيسون أقدار الناس بمبلغ ما يملكون من أموال وما يصحبها من جاه وسلطان ، حتى أنهم ليعترضون على نبوة محمد ﷺ في أول الأمر لأنه فقير وتمنوا لو إن الوحي نزل على أحد الرجلين الثريين الشهيرين في مكة أو الطائف : الوليد بن المغيرة القرشي وعروة بن مسعود الثقفي ، قال تعالى في سورة الزخرف ؛ آية/ ٣١ : ﴿ وَقَالُوْا : لَوْ لاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيْمٍ ﴾ ... (٢) وقد كان هذا هو نفس مسلك بني إسرائيل عندما اعترضوا على أن يكون طالوت ملكاً

عليهم لفقره ، قال تعالى في سورة البقرة ؛ آية/ ٢٤٧ : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ : إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ طَالُوْتَ مَلِكاً * قَالُوْا : أَنَّى يَكُوْنُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا * وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ * وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ﴾ ولما قالت سادات العرب وأغنياؤهم للنبي الكريم عليه الصلاة والسلام اجعل لنا يوماً و لهم يوماً يجيئون إليك و لا نجئ ، و نجئ إليك ولا يجيئون ، يعنون بذلك التفريق بينهم وبين الفقراء في المجالس نزل عليه قوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيْدُوْنَ وَجْهَهُ * وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ * تُرِيْدُ زِيْنَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا * وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا * وَاتَّبَعَ هَوَاهُ * وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً * وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكُمْ * فَمَنْ شَاءَ * فَلْيُؤْمِنْ * وَمَنْ شَاءَ * فَلْيَكْفُرْ ﴾ (الكهف/٢٨-٢٩) وعندما استأذن ابن مكتوم على النبي الكريم ﷺ وعنده رجل من أشراف قريش فشق ذلك على النبي الكريم ﷺ فأنزل الله تعالى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيْكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَ مَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى * وَ أَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَ هُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى * كَلاَّ ! إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴾ (سورة عبس/١-١٢) ... (٣) .

فالإسلام حطم أي حواجز أو سدود تفرق أو تميز بين الغني والفقير و بين الأغنياء أو الفقراء بعضهم البعض غير التي سبق ذكرها ، ففي العبادات نجد الفقير يؤديها بجوار الغني مثل بمثل وكم بكم وكذلك المعاملات والحدود تقام على الغني مثل الفقير لا يستثني منها شخص لفقره أو لغناه ، وبين الإسلام أن حقيقة الإنسان في أيمانه وعمله لا في شحمه ولحمه وفضته وذهبه أو ملبسة وزينته ، فيقول الرسول الكريم ﷺ : "رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو

أقسم على الله لأبره" ، وروى أحمد ومسلم عن أبي هريرة مرفوعاً : "رب أشعث مدفوعاً بالأبواب لو أقسم على الله لأبره" ، وروى الحاكم أبو نعيم في الحلية عنه أيضاً : "رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره" ، وروى البزار عن ابن مسعود مرفوعاً : "رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره" ورمز لهما السيوطي بعلامة الصحة وفي مقابل ذلك يقول : "يأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة" (رواه البخاري) ، واقرؤوا إن شئتم : ﴿ فَلاَ نُقِيْمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً ﴾ (الكهف/١٠٥) ... (٤) .

وفي مجال تكريم الفقير في الآخرة ؛ يقول الرسول الكريم ﷺ : "يقول الله تعالى يوم القيامة ؛ أين صفوتي من خلقي ؟ فتقول الملائكة : ومن هم يا ربنا ؟ فيقول : فقراء المسلمين القانعون بعطائي ، الراضون بقدري أدخلوهم الجنة فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون" (رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس) ، وقال عليه الصلاة والسلام : "يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام" (أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة) ، و قال حسن صحيح ، وفي رواية أخرى : "بأربعين خريفاً" أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمر ألا أنه قال : "فقراء المهاجرين" الترمذي من حديث جابر وأنس ... (٥) .

وينظر الإسلام ينظر الفقر على أنه ابتلاء من الله ﷻ لعبده المؤمن ، قال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوْعِ * وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ * وَبَشِّرِ الصَّابِرِيْنَ ﴾ (البقرة/١٥٥) ، وقال تعالى في سورة آل عمران ؛ آية/ ١٨٦ : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيْ أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾ ويثاب العبد الصابر على الابتلاء بالضراء كما

يثاب العبد الشاكر على الابتلاء بالسراء ففي الحديث الشريف : "عجباً للمؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له" رواه مسلم ... (٦) .

ولابد أن يختبر المولى ﷻ عباده فيبتليهم بالمصائب تارة وبالنعم تارة أخرى بالشر تارة وبالخير تارة أخرى يبتليهم بالشدة أو الرخاء بالصحة أو السقم بالغني أو الفقر وبالحلال والحرام والطاعة والمعصية والهدى والضلال فالفتنة والابتلاء كما تكون بالشدة والحرمان تكون بالرخاء والعطاء ؛ كما في قوله : ﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ (الأنبياء/٣٥) فينظر من يشكر ومن يكفر ومن يصبر ومن يقنط ليجزي كل عبد بأعماله ، ويظل العبد يبتلى حتى يكفر عن سيئاته ويلقي الله وما عليه خطيئة ؛ كما قال عليه الصلاة والسلام : "ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه و ولده وماله حتى يلقي الله وما عليه من خطيئة" ويبتلي المؤمن على قدر دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في البلاء وأشد الناس بلاء الأنبياء فالفقر إذن ابتلاء ... (٧) .

كما ينظر الإسلام إلى الفقر على أنه كعقاب نتيجة للكفر أو الشرك أو المعصية والعياذ بالله منهم ، قال تعالى في سورة النحل ؛ آية/١١٢ : ﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً * يَأْتِيْهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ * فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ * فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوْعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوْا يَصْنَعُوْنَ ﴾ والمقصود بالقرية في الآية السابقة مكة المكرمة وضرب مكة مثلاً لغيرها من البلاد أي أنها مع جوار بيت الله وعمارة مسجده لما كفر أهلها أصابهم القحط فكيف بغيرها من القرى وقد قيل : أنها المدينة ، وقيل : أنها مثل مضروب بأي قرية كانت على هذه الصفة من سائر القرى ... (٨) .

وقال تعالى في سورة النساء ؛ آية/ ١٦٠ : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِيْنَ هَادُوْا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ فبسبب ما ارتكبوه اليهود من منكرات عديدة حرمت عليهم طيبات كانت حلالاً لهم ، قال تعالى في سورة إبراهيم ، آية/ ٣٢-٣٤ : ﴿ اللهُ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ * وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً * فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ * لِتَجْرِيَ فِيْ الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوْهُ * وَإِنْ تَعُدُّوْا نِعْمَةَ اللهِ * لاَ تُحْصُوْهَا * إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُوْمٌ كَفَّارٌ ﴾ فهذه الآية الكريمة تقرر بكل وضوح أن الله تعالى قد أوجد للإنسان في هذا الكون الفسيح كل مصالحه ومنافعه و وفر له الموارد الكافية لإمداده بأسباب حياته وحاجاته المادية ولكن الإنسان هو الذي يضيع على نفسه هذه الفرصة التي منحها الله له ، بظلمه وكفرانه بالنعم الإلهية ، وهما السببان الأساسيان للمشكلة الاقتصادية في حياة الإنسان ... (٩) ورحم الله المفكر الإسلامي مالك بن نبي قائلاً : التخلف الذي يعاني منه الشرق لا يتحمل الإسلام وزره فهذا التخلف يعد عقوبة مستحقه من الإسلام على المسلمين لتخليهم عنه لا لتمسكهم به كما يزعمون ؛ و صدق الله العظيم : ﴿ وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِيْ * فَإِنَّ لَهُ مَعِيْشَةً ضَنْكاً * وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (طه/١٢٤) ... (١٠) وقد كان الجدب والقحط ونقص الثمرات عقاباً دنيوياً لآل فرعون لظلمهم وطغيانهم ، قال تعالى في سورة الأعراف ؛ آية/١٣٠ : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِيْنَ * وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُوْنَ ﴾ ... (١١) ، وقال تعالى في سورة الروم ؛ آية/٤١ : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِيْ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيَ النَّاسِ * لِيُذِيْقَهُمْ بَعْضَ الَّذِيْ عَمِلُوْا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُوْنَ ﴾

أي إن انقطاع المطر و وقوع الجدب والقحط ومحق البركات ونقص الثمار والزروع بسبب ما ارتكبوا من معاصي ليذيقوا وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبوا بها جميعاً في الآخرة وكما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيْبَةٍ * فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيْكُمْ ﴾ (الشورى/٣٠) ، وعن الحسن أنه كان إذا رأى السحاب ؛ قال لأصحابه : فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم ... (١٢) ، وعن ثوبان قال رسول الله ﷺ : **"إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر"** ... (١٣) ، وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : ما ظهر الغلول في قوم إلا ألقى الله في قلوبهم الرعب ولا فشا الزنا في قوم إلا كثر فيهم الموت ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا قطع الله عنهم الرزق ولا حكم قوم بغير حق إلا فشا فيهم الدم ولاختر قوم بالعهد إلا سلط الله عليهم العدو ، رواه مالك موقوفاً والطبراني مرفوعاً ... (١٤) ، وعن عبد الله بن عمر قال : أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال : **"يا معشر المهاجرين خمس خصال إذا ابتليتم بهن ، وأعوذ بالله إن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا اخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولو لا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم ؛ فأخذوا ببعض ما في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ؛ و يتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم"** .

ولكننا قد نرى أعداء الله وأعداء الحق متروكين لا يأخذهم العذاب كما أخبرتنا الآيات والأحاديث السابقة بل وقد نراهم

متمتعين في ظاهر الأمر بالقوة والسلطة والمال والجاه ما يوقع الفتنة في قلوب الناس ، ومما يجعل ضعاف الإيمان يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يحسبون أن الله (حاشاه) يرضى عن الباطل والشر والجحود والطغيان فيملي له ويرخي له العنان أو يحسبون أن الله لا يتدخل في المعركة بين الحق والباطل فيدع للباطل أن يحطم الحق ، ولا يتدخل لنصرته أو يحسبون أن هذا الباطل حق وإلا فلم تركه الله ينمو ويكبر ويغلب ؟! أو يحسبون إن من شأن الباطل أن يغلب على الحق في هذه الأرض وأن ليس من شأن الحق أن ينتصر ، وهذا كله وهم باطل وظن بالله غير الحق والأمر ليس كذلك ، والله سبحانه وتعالى يحذر من هذا الظن وأنه إذا كان الله لا يأخذهم بكفرهم ولا معاصيهم وذنوبهم وإذا كان يعطيهم حظاً في الدنيا يستمتعون به ويلهون فإنما هي الفتنة وإنما هو الكيد المتين وإنما هو الاستدراج البعيد حيث تزداد معاصيهم وينمو طغيانهم وتكبرهم ثم ينتظرهم العذاب المهين ؛ كما قال تعالى في سورة آل عمران ؛ آية/١٧٨ : ﴿ **وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا * أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ * أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوْا إِثْماً * وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِيْنٌ** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا فِي الْبِلاَدِ مَتَاعٌ قَلِيْلٌ * ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ * وَبِئْسَ الْمِهَادُ** ﴾ (آل عمران/١٩٦-١٩٧) ، وقوله تعالى : ﴿ **نُمَتِّعُهُمْ قَلِيْلاً * ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيْظٍ** ﴾ (لقمان/٢٤) ، وقوله تعالى : ﴿ **أَيَحْسَبُوْنَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّال وَّبَنِيْنَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ * بَل لاَّ يَشْعُرُوْنَ** ﴾ (المؤمنون/٥٥-٥٦) ، وقوله تعالى : ﴿ **وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ * إِنَّمَا يُرِيْدُ اللهُ أَنْ يُّعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا * وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ * وَهُمْ كَافِرُوْنَ** ﴾ (التوبة/٨٥) ... (١٥) ، وروى عقبة بن عامر إن النبي الكريم ﷺ قال : **"إذا رأيتم الله تعالى يعطي العباد ما يشأون على معاصيهم**

فإنما ذلك استدراج منه لهم" ... (١٦) استدراج كقوله تعالى : ﴿ **فَذَرْنِيْ * وَمَنْ يُّكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيْثِ * سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُوْنَ** ﴾ (القلم/٤٤) .

كما ينظر الإسلام إلى الفقر على أنه إرادة إلهية لمصلحة عباده ، قال تعالى : ﴿ **وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ * وَلَكِنْ يُّنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ * إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيْرٌ بَّصِيْرٌ** ﴾ (الشورى/٢٧) أي لو أعطاهم وفق حاجاتهم من الرزق لحملهم ذلك على البغي والطغيان من بعضهم على بعض أشراً وبطراً ؛ قال قتادة كان يقال خير العيش ما لا يلهيك ولا يطغيك ، وأنه ﷻ يرزقهم من الرزق ما يختاره مما فيه صلاحهم ، وهو أعلم بذلك فيغني من يستحق الغنى ويفقر من يستحق الفقر ؛ كما جاء في الحديث : **"إن من عبادي من لا يصلحه ألا الغنى ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه وأن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه"** ... (١٧) ، وقيل : إن هذه الآية نزلت في قوم من أهل الصفة تمنوا سعة الرزق ، وقال خباب ابن الأرت : فينا نزلت ، نظرنا إلى أموال بني النضير وقريظة وبني قينقاع فتمنيناها فنزلت الآية ، ومعناها لو وسع عليهم في الرزق لطغوا وعصوا ، قال ابن عباس بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ودابة بعد دابة ومركباً بعد مركب وملبساً بعد ملبس ، وقيل : أراد لو أعطاهم الكثير لطلبوا ما هو أكثر منه لقوله عليه الصلاة والسلام : **"لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثاً"** وهذا هو البغي وهو معني قول ابن عباس ، وقيل : لو جعلناهم سواء في المال لما انقاد بعضهم لبعض ولتعطلت الصنائع ، وقيل : أراد بالرزق المطر أي لو أدام المطر لتشاغلوا به عن الدعاء فيقبض تارة ليتضرعوا ويبسط تارة ليشكروا ، وقيل كانوا إذا أخصبوا أغار بعضهم على

بعض فلا يبعد حمل البغي على هذا ... (١٨) .

وقررت آيات أخرى في القرآن الكريم ارتباط أو اقتران الطغيان بالاستغناء كما في قوله تعالى : ﴿ كَلاَّ ! إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ﴾ (العلق/٦-٧) ويقص علينا القرآن في سور عديدة من أبناء الأمم التي خلت ما يؤكد هذه الحقيقة ويفيد الإطلاق في هذا الحكم الذي يجعل الاستغناء سبباً للطغيان والمستغنون الذين دفعهم الاستغناء إلى حيلة الترف كانوا طلائع الجحود وأئمة الكفر ولذلك وجدناهم قاده المقاومة للدعوات الدينية والمحاولات التي قادها الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ففي مواجهة نبي الله شعيب عليه السلام وقف المترفون ينكرون التوحيد ويتمسكون بعبادة ما كان آباؤهم يعبدون ، ويتمسكون بحريتهم المطلقة في التصرف المطلق بما جمعوا من أموال ، قال تعالى في سورة هود ؛ آية/٨٧ : ﴿ قَالُوْا : يَا شُعَيْبُ ! أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا * أَوْ أَنْ نَّفْعَلَ فِيْ أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ * إِنَّكَ لأَنْتَ الْحَلِيْمُ الرَّشِيْدُ ﴾ ، وقال تعالى في سورة سبأ ؛ آية/٣٤-٣٥ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِيْ قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيْرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوْهَا * إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُوْنَ * وَقَالُوْا : نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَّأَوْلاَداً * وَّمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِيْنَ ﴾ ... (١٩) ومثال آخر من السيرة يبين طغيان المال وأثره في تغير النفس البشرية ، روى عن ابن أمامة الباهلي إن ثعلبة بن حاطب قال : يا رسول الله ! ادع الله أن يرزقني مالاً ، قال : **"يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه"** ، قال : يا رسول الله ! ادع الله أن يرزقني مالاً قال : **"يا ثعلبة املك في أسوه أما ترضى أن تكون مثل نبي الله تعالى ؟ والذي نفسي بيده لو شئت إن تسير معي الجبال ذهباً وفضةً لسارت"** ، قال والذي بعثك بالحق نبياً لئن دعوت الله أن يرزقني مالاً لأعطين كل ذي حق حقه ولأفعلن ولأفعلن ... قال رسول

الله ﷺ : **"اللهم ارزق ثعلبه مالاً"** فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل وادياً من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة ويدع ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الجماعة ألا الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة ؛ فيسألهم عن الأخبار في المدينة ، وسأل رسول الله عليه الصلاة والسلام عنه فقال : **"ما فعل ثعلبة بن حاطب ؟)** فقيل : يا رسول الله اتخذ غنماً فضاقت عليه المدينة وأخبر بأمره كله فقال : **"يا ويح ثعلبة ؛ يا ويح ثعلبة ؛ يا ويح ثعلبة"** وقال وأنزل الله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً * تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيْهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ * إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ (التوبة/١٠٣) وأنزل الله فرائض الصدقة فبعث رسول الله ﷺ رجلاً من جهينة ورجلاً من بني سليم على الصدقة وكتب لهم بأخذ الصدقة وأمرهما إن يخرجا فيأخذا من المسلمين ، وقال : **"مرا بثعلبة بن حاطب وبفلان رجل من بني سليم خذا صدقاتهما"** فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة واقرأه كتاب رسول الله ﷺ فقال : ما هذه ألا جزية ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية ! انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا إلى فانطلقا نحو السليمي فسمع بهما فقام إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأوها قالوا : لا يجب عليك ذلك وما نريد نأخذ هذا منك قال : بلى خذوها ، فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرّا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال : أروني كتابكم فنظر فيه فقال : هذه أخت الجزية ، انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي الكريم عليه الصلاة والسلام فلما رآهما قال : **"يا ويح ثعلبة"** قبل أن يكلماه ودعا للسليمي فأخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السليمي ، فأنزل الله في ثعلبة : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ

ولَنَكُوْنَنَّ مِنَ الصَّالِحِيْنَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوْا بِهِ * وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُوْنَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِيْ قُلُوْبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوْا اللهَ مَا وَعَدُوْهُ * وَبِمَا كَانُوْا يَكْذِبُوْنَ ﴾ (التوبة/٧٥-٧٧) ، وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ما أنزل الله فيه فخرج حتى أتى ثعلبة فقال : لا أم لك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي الكريم ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته فقال : **"إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك"** فجعل يحثو التراب على رأسه فقال رسول الله ﷺ : **"هذا عملك أمرتك فلم تطعني"** فلما أبى أن يقبل منه شيئاً رجع إلى منزله فلما قبض رسول الله ﷺ جاء بها إلى أبي بكر الصديق ﷺ فأبي أن يقبلها منه ، وجاء بها إلى عمر بن الخطاب ﷺ فأبى أن يقبلها وتوفي ثعلبة في خلافه عثمان ، فهذا هو حال ثعلبة قبل أن يغنيه الله من فضله وبعده فأيهما أصلح لدينه ؟ حقاً أنه ينطبق عليه الحديث : **"إن من عبادي لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه"** فعندما أغناه الله من فضله تخلف عن صلاه الجماعة ثم تخلف عن صلاه الجمعة ثم بخل عن إعطائه زكاة المال حتى وصل به الحال إلى ما وصل عليه ... (٢٠) .

(يتبع)

***

الهوامش :

(١) حديث الثلاثاء للإمام حسن البنا سجلها واعدها للنشر أحمد عيسى عاشور: ص/٤١١ .

(٢) مشكله الفقر وكيف عالجها الإسلام - يوسف القرضاوي : ص/١٣٤ .

(٣) إحياء علوم الدين - الإمام أبي حامد الغزالي : ج/٤ ، ص/١٨٢ .

(٤) مشكله الفقر وكيف عالجها الإسلام - يوسف القرضاوي : ص/١٣٤ .

(٥) إحياء علوم الدين - الإمام أبي حامد الغزالي : ج/٤ ، ص/١٨٠-١٨٥ .

(٦) في ظلال القرآن - سيد قطب : ج/٢ ، ص/١٠٩٠ .

(٧) تفسير القرآن العظم - لابن كثير : ج/٣ ، ص/١٧٨ .

(٨) الجامع لأحكام القرآن - لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي : ج/١٠ ، ص/١٩٤ .

(٩) التنمية الاقتصادية في المنهج الإسلامي - عبد الحق الشكيري : ص/٤٩ .

(١٠) الحرمان والتخلف في ديار المسلمين - نبيل صبحي الطويل : ص/٧١ .

(١١) في ظلال القرآن - سيد قطب : ج/٣ ، ص/٣٣٥٦ .

(١٢) الجامع لأحكام القرآن - لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي : ج/١٧ ، ص/٤١ .

(١٣) تفسير القرآن العظيم - لابن كثير : ج/١ ، ص/٥٢٤ .

(١٤) مختصر الترغيب والترغيب انتقاء الحافظ ابن حجر العسقلاني : ص/١٥٤ .

(١٥) في ظلال القرآن - سيد قطب : ج/١ ، ص/٥٢٤ .

(١٦) الجامع لأحكام القرآن - لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي : ج/٦ ، ص/٤٢٦ .

(١٧) تفسير القرآن العظيم - لابن كثير : ج/٤ ، ص/١١٥ .

(١٨) الجامع لأحكام القرآن - لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي : ج/١٦ ، ص/٣٧ .

(١٩) الإسلام والمستقبل - محمد عمارة : ص/١١٨-١١٩ .

(٢٠) إحياء علوم الدين - الإمام أبي حامد الغزالي : ج/٣ ، ص/٢٥٤ .

من التاريخ الإسلامي :

الإمام أبو القاسم القشيري
حياته ، وتفسيره لطائف الإشارات

بقلم : الدكتور محمد عارف الدين الفاروقي
(جامعة حيدرآباد - الهند)

(٦)

📖 تفسير القرآن العظيم للتستري :

إن شيخ أصحاب السلوك أبا محمد سهل بن عبد الله التستري وأول مفسر فسر القرآن في ضوء الإشارات ، قد ولد سهل في تستر سنة مائتين ، لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع ، وكان صاحب إرشاد ، لقي ذا النون المصري بمكة سنة خروجه إلى الحج وتوفي كما قيل سنة ٢٧٣ أو ٢٨٣هـ (٨٥) .

قد طبع هذا التفسير بمطبعة دار الكتب العربية الكبرى في ١٣٢٩هـ في مجلد واحد عدد صفحاته ١٣٤ ما عدا الفهرس .

يشتمل هذا الكتاب على تفسير آيات مختارات من القرآن العظيم ، اختارها تلميذه أبو بكر محمد بن أحمد البلدي مقتبساً من مجالس سهل كما ذكر في أكثر المواضع أن الناس كانوا يستفتونه في تفسير بعض الآي وهو يفسر كذا ، نموذج من تفسيره :

قال المؤلف في مقدمته :

"... الذين أعطاهم الله تعالى فهم القرآن هم خاصة الله وأولياؤه لا هم للدنيا ولا الدنيا منهم في شئ ولا فيما في الجنة رغبوا ، أخذ منهم الدنيا فلم يبالوا وهبها لهم فردوها كما رد النبي الكريم ﷺ لما عرضت عليه ، طرحوا أنفسهم بين يديه رضى وسكوتاً إليه ،

(٨٥) الرسالة القشيرية : ص/١٤ .

وقالوا : لابد لنا منك أنت أنت ، لا نريد سواك فهم المتفردون بالله كما قال النبي الكريم ﷺ : سيروا سير المتفردين إلى رحمة الله قالوا : ومن المتفردون يا رسول الله ، قال : الذين اهتدوا بذكر الله تعالى يأتون يوم القيامة خفافاً قد حط الذكر عنهم أثقالهم (٨٦) ﴿ وَ اتَّبَعُوْا النُّوْرَ الَّذِيْ أُنْزِلَ مَعَهُ ﴾ يعني القرآن الذي قلب النبي الكريم ﷺ معدنه" (٨٧) .

"... فقوم طلبوا فهم القرآن بتكرار درسه ليستخرجوا فهم ظاهر أحكامه ومنهم مكثر عالم عامل لله تعالى بمنازل الجنة وعامل لله تعالى إيجاباً وعالم به لا عامل له ، وقوم طلبوه حفظ التلاوة والتعليم لغيره منهم سليم في فعله ومنهم مغتر بربه ورجل كثير الدرس له ومراده تعلم طلب الإلحان ويريد أن يشار إليه ويكسب من حطام الدنيا فهو من أخسر الثلاثة عند الله تعالى (٨٨) .

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيْمَ ﴾ أي البصيرة فانا لا نهتدي إلا بك (٨٩) .

﴿ المتقون ﴾ هم الذين تبرؤا من دعوى الحول والقوة دون الله تعالى (٩٠) .

﴿ فَلاَ تَجْعَلُوْا لِلّٰهِ أَنْدَاداً ﴾ أي أضداداً فأكبر الأضداد النفس الأمارة بالسوء (٩١) .

قال الشاطبي في صحة التفسير الإشاري : هذا يشير إلى أن النفس الأمارة داخلة تحت عموم الأنداد وهذا مشكل ظاهر جداً إذ كان مساق الآية ومحصول القرائن فيها يدل على أن الأنداد الأصنام أو

(٨٦) تفسير القرآن العظيم - لتستري : ص/٤ .
(٨٧-٨٨) المرجع السابق : ص/٦ .
(٨٩) المرجع السابق : ص/٧ .
(٩٠) التفسير المذكور : ص/٨ .
(٩١) المرجع السابق : ص/٩ .

غيرها مما كانوا يعبدون ، ولم يكونوا يعبدون أنفسهم ولكن له وجه جار على الصحة وذلك أنه لم يقل أن هذا هو تفسير الآية ولكن أتى بما هو ند في الاعتبار الشرعي الذي شهد له القرآن من جهتين : أحدهما أن الناظر قد يأخذ من معنى الآية معنى من باب الاعتبار فيجريه فيما لم تنزل فيه لأنه يجامعه في القصد أو يقاربه لأن حقيقة الند أنه المضاد لنده الجاري على مناقضة ، والنفس الأمارة هذا شأنها لأنها تأمر صاحبها بمراعاة حظوظها لاهية أو صادة عن مراعاة حقوق خالقها وهذا هو الذي يعني به الند في نده لأن الأصنام نصبوها لهذا المعنى بعينه وشاهد صحة هذا الاعتبار قوله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوْا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّنْ دُوْنِ اللهِ ﴾ وهم لم يعبدوهم من دون الله ولكنهم ائتمروا بأوامرهم وانتهوا عما نهوهم عنه فكيف كان حرموا عليهم ما حرموه و ما أباحوا لهم حللوه ؛ فقال تعالى : ﴿ اتَّخَذُوْا أَحْبَارَهُمْ ﴾ وهذا شأن المتبع لهوى نفسه ، والثانية : أن الآية وإن نزلت في أهل الأصنام فإن لأهل الإسلام فيها نظراً بالنسبة إليهم ، ألا ترى أن عمر بن الخطاب ﷺ قال لبعض من توسع في الدنيا من أهل الإيمان : أي تذهب بكم هذه الآية : ﴿ اذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِيْ حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾ و كان هو يعتبر نفسه بها ؛ و إنما أنزلت في الكفار لقوله : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا عَلَى النَّارِ اذْهَبْتُمْ ... ﴾ ولهذا المعنى تقرير في العموم والخصوص فإذا كان كذلك صح التنزيل بالنسبة إلى النفس الأمارة في قوله : ﴿ فَلاَ تَجْعَلُوْا للهِ أَنْدَاداً ﴾ (٩٢) .

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِيْ الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ أي العلم والعبادة خالصاً .

(٩٢) الموافقات : ج/٣ ، ص/٢١٥ ، وقد يشهد على التفسير ؛ قوله تعالى : (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ...) فإن القرآن يفسر بعضه بعضاً فلم يكن يبقى في هذا القول الإشاري شبهة وريبة .

﴿ وَفِيْ الآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ أي الرضى كما قال (رضي الله عنهم ورضوا عنه) (٩٣) .

﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ شهد لنفسه بنفسه وهو خاص لذاته واستشهد من استشهد من خلقه قبل خلقهم بعلمه ، فنبه به أهل معرفته أنه عالم بما يكون قبل كونه وإن حقيقة التوحيد ما كان بدون الأكوان ، كما شهد به الحق لنفسه بنفسه قبل الأكوان (٩٤) .

﴿ الدنيا ﴾ دنياك نفسك فإذا أفنيتها فلا دنيا لك (٩٥) .

﴿ الوسوسة ﴾ كل شئ دون الله تعالى فهو وسوسة (٩٦) .

وبالجملة أن هذا التفسير قليل في ألفاظه ولكن معانيه كثيرة.

الحقائق في التفسير :

لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين
ابن موسى السلمي الأزدي النيسافوري (٣٣٠-٤١٢هـ)

قد سبقت ترجمته في تراجم أساتذة الإمام القشيري فليراجع إلى ما سبق ، توجد مخطوطة ناقصة لهذا التفسير في خزانة الكتب "خدا بخش" في مدينة "بتنه" وهي مشتملة من سورة الفاتحة إلى سورة مريم (٩٧) ، وله نسختان في المكتبة الأزهرية أيضاً ، فسر فيه آيات مختارات لجميع سور القرآن ، غايته جمع أقوال المفسرين عن فهم القرآن على لسان الحقيقة كما ذكر المؤلف في مقدمته :

"لما رأيت المتوسمين بالعلوم الظاهر صنفوا في أنواع فوائد القرآن من قراءات وتفاسير ومشكلات وأحكام وإعراب ولغة ومجمل

(٩٣) التفسير - لتستري : ص/١٦ .
(٩٤) المرجع السابق : ص/٢٥ .
(٩٥) المرجع السابق : ص/٣٠ .
(٩٦) المرجع السابق : ص/١٣٣ .
(٩٧) فهرس مكتبة خدا بخش : ج/١٨ ، ص/١٣٤ .

ومستتر وناسخ ومنسوخ وغير ذلك ، ولم يشتغل أحد منهم بجمع فهم خطابه على لسان الحقيقة إلا آيات متفرقات نسبت إلى أبي العباس ، ابن عطاء وآيات ذكر أنها عن جعفر بن محمد الصادق على غير ترتيب ، وكنت قد سمعت منهم في ذلك حروفاً استحسنتها أحببت أن أضم ذلك إلى مقالتهم وأضم أقوال مشايخ أهل الحقيقة إلى ذلك وأرتبه على السور على حسب سعيي وطاقتي ، فاستخرت الله في جمع شئ من ذلك واستعنت به في ذلك وفي جميع أموري وهو حسبي ونعم المعين" .

نموذج من تفسيره :

سمى الفاتحة فاتحة لانفتاح أبواب خزائن أسرار الكتاب بها لأنها مفتاح كنوز لطائف الخطاب ، بانجلائها ينكشف جميع القرآن لأهل البيان لأن من عرف معانيها يفتح بها أقفال المتشابهات ويقتبس بسنائها أنوار الآيات .

﴿ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ ﴾ شكر نفسه للعباد لأنه علم عجزهم عن شكره وأيضاً أدب الخلق بتقديم حمده .

أقوال العلماء في عدالته ، قال الخطيب قال لي محمد بن يوسف النيسافوري القطان كان السلمي غير ثقة وكان يضع للصوفية الأحاديث ، قال الذهبي : وله كتاب سماه حقائق التفسير وليته لم يصنفه فإنه تحريف وقرمطة فدونك الكتاب فسترى العجب .

قال الخطيب : قدر أبي عبد الرحمن عند أهل بلده جليل وكان ذلك محموداً صاحب حديث .

قال السبكي : قول الخطيب فيه هو الصحيح وأبو عبد الرحمن ثقة (٩٨) .

(٩٨) طبقات الشافعية : ج/٣ ، ص/٦٢ .

قال ابن الصلاح : إنه إذا قال شيئاً من أمثال ذلك أنه لم يذكره تفسيراً ولا ذهب مذهب الشرح للكلمة المذكورة من القرآن العظيم ، فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسالك الباطنية (٩٩) .

📖 **عرائس البيان في حقائق القرآن :**

لأبي محمد رزبهان (١٠٠) بن أبي نصر الشيرازي ٦٠٦هـ

هذا التفسير يشتمل على الإشارات فقط ولم يقصد فيه تفسير الظاهر ، طبع بالمطبعة الهندية (نول كشور) جزءان في قطع كبير توجد أيضاً نسخة خطية في المكتبة الأزهرية ، قال المصنف في مقدمة تفسيره : "وما تصديت لهذا الأمر إلا بعد خاطري بالمعرفة والحكمة الربانية واقتديت بالصدر الأول من المشايخ الكرام في تفسير حقائق الكلام لما وجدت أن كلامه الأزلي لا نهاية له في الظاهر والباطن ولم يبلغ أحد من خلق الله إلى كماله وغاية معانيه لأن تحت كل حرف من حروفه بحراً من بحار الأسرار ونهراً من أنهار الأنوار لأنه وصف القدم وكما لا نهاية لصفاته" (١٠١) .

"صنفت في حقائق القرآن كتاباً موجزاً لا إطالة فيه ولا إملال وذكرت ما سنح لي من حقيقة القرآن ولطائف البيان وإشارة الرحمن في القرآن بألفاظ لطيفة وعبارة سريعة" (١٠٢) .

📖 **التأويلات النجمية :**

لنجم الدين الداية ٦٥٤هـ وعلاء الدولة السمناني ٧٣٦هـ

هذا التفسير غير مطبوع وله نسخة خطية في دار الكتب

(٩٩) فتاوى ابن الصلاح : ص/٢٩ .
(١٠٠) انظر : كشف الظنون : ج/٢ ، ص/٢١ .
(١٠١) عرائس البيان : ص/٣ .
(١٠٢) المرجع السابق : ص/٣ .

بالقاهرة وهي في خمسة مجلدات ضخمة .

بدأ هذا التفسير الشيخ نجم الدين من سورة الفاتحة ولكن لم يمكنه الأجل أن يتم تفسيره وقضى نحبه في سنة ٦٥٤هـ ، فأتم هذا التفسير علاء الدولة السمناني من سورة الطور إلى النهاية مع مقدمة طويلة غامضة .

كان الشيخ نجم الدين من كبار مشايخ الخوارزم ، فارق الخوارزم لبلاد الروم إذ هجم عليها جنكيز خان ولما بلغ الروم لزم صحبة الشيخ صدر الدين القونوي ، وعلى قول آخر : أنه جرع كأس الشهادة بين القتال مع التتار (١٠٣) .

أما ركن الدين السمناني ولد في سنة ٦٥٩هـ وسمع الحديث من علة محدثين وبرع في العلم ، صحب الشيخ عبد الرحمن ببغداد ، قال الذهبي : كان إماماً جامعاً وله وقع في النفوس ، أخذ عنه صدر الدين ابن حمويه وسراج الدين القزويني وإمام الدين علي بن مبارك الكبري وذكر أن مصنفاته تزيد على ثلاثمائة ، منها مدارج المعارج والتفسير المذكور ، توفي في سنة ٧٣٦هـ (١٠٤) .

بين نجم الدين مع التفسير الظاهر الإشارات المستنبطة من ظاهر الآيات بغير أن خلط فيه غوامض الفلسفة ، وبالعكس ترك السمناني التفسير الظاهر وأدخل المباحث الفلسفية في إشاراته فأصبح تفسيره عسيراً للفهم (١٠٥) .

---

(١٠٣) نفخات الإنس : ص/٤٩١ .

(١٠٤) الدرر الكامنة : ج/١ ، ص/٢٥ .

(١٠٥) تاريخ تفسير ومفسرين : ص/٥٦٧ .

روح المعاني :

للعلامة شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي ١٢٧٠هـ

كتب هذا التفسير عملة المتأخرين العلامة الآلوسي في ثمان مجلدات ضخام وطبع بمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر .

ولد الآلوسي في ١٢١٧هـ ببغداد وهو حسني الأم حسيني الأب وكان رحمه الله فذاً عبقرياً بصفاء الذهن والقريحة ونهاية الفطنة وعذوبة التقرير وحسن التحرير ، سافر إلى القسطنطينية وعرض تفسيره على السلطان عبد المجيد خان ، واشتغل بالتدريس والتأليف وهو ابن ثلاثة عشر عاماً ودرس في عدة مدارس ، كان عالماً باختلاف المذاهب مطلعاً على الملل والنحل سلفي الاعتقاد ، شافعي المذهب توفي في ذي القعدة ١٢٧٠هـ ، و دفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي (١٠٦) .

وقد ذكرنا رأيه في باب التفسير الإشاري في مقدمتنا فلا حاجة إلى الإعادة ، يحتوي تفسيره على علوم وفنون ومع هذا يكتب من باب الإشارات لآيات مختارات .

نموذج من تفسيره :

"﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِيْ * وَالْقُرْآنَ الْعَظِيْمَ ﴾ أشار من (سبعاً من المثاني) إلى سبع صفات والقرآن العظيم فهو إشارة إلى الجملة الذاتية لا باعتبار النزول ولا باعتبار المكانة بل مطلق الأحدية الذاتية التي هي في المطلق الهوية الجامعة لجميع المراتب والصفات والشئون والاعتبارات ولهذا قرن بالعظيم ، وقال ساداتنا الصوفية : أفاض الله تعالى علينا من فتوحاتهم القدسية أن القرآن إشارة إلى الذات التي يضمحل بها جميع الصفات فهي المجلس المسمى بالأحدية

---

(١٠٦) ترجمة المؤلف في تفسيره : ص/٣-١٠ .

أنزلها الحق تعالى شأنه على نبيه محمد ﷺ ليكون مشهد الأحدية من الأكوان وقد (يقال) القرآن والفرقان إشارتان إلى مقام الجمع والفرق بأقسامها، قالوا: لابد للعبد الكامل منهما، فإن من لا تفرقة له لا عبودية له ومن لا جمع له لا معرفة له (١٠٧).

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: رَبِّ أَرِنِي * كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى ... إلخ ﴾ إشارة إلى طيور الباطن التي في قفص الجسم وهي أربعة من أطيار الغيب، العقل والقلب والنفس، والروح (فصرهن إليك) أي ضمهن واذبحهن فأذبح طيرِ الروح بسكين العجز في تيه عزة أسرار الربانية ﴿ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ﴾ فاجعل العقل على جبل العظمة حتى يتراكم عليه أنوار سلطنة الربوبية فيصير موصوفاً بها ليدركني بي بعد فنائه في، واجعل القلب على جبل الكبرياء حتى البسته سناء قدسي فيتيه في بيداء التفكر منعوتاً بصرف نور المحبة، واجعل النفس على جبل العزة حتى ألبسها نور العظمة لتصير مطمئنة عند جريان ربوبيتي عليها فلا تنازعني في العبودية ولا تطلب أوصاف الربوبية، واجعل الروح على جبل جمال الأزل حتى ألبسهما نور النور وعز العز وقدس القدس لتكون منبسطة في السكر مطمئنة في الصحو عاشقة في الانبساط راسخة في التجليات (ثم ادعهنّ) ونادهن بصوت سر العشق (يأتينك سعياً) إلى محض العبودية بجمال الأحدية (واعلم أن الله عزيز) يعزك بعرفانك على صفاته القديمة (حكيم) في ظهوره بغرائب التجلي لأسرار باطنك. (يتبع)

***

(١٠٧) روح المعاني: ج/١، ص/٨.

كليلة ودِمنة

بقلم: الدكتور خالد خليفة السعد
(الأستاذ المساعد بجامعة البحرين)

كتاب (كليلة ودِمنة) لعبد الله بن المقفع كتاب هادف، بلغ من الشهرة ما لم يبلغه كتاب آخر في موضوعه، فهو ليس مجرد سرد لحكايات خرافية على ألسنة الحيوان، بل هو كتاب يرمي إلى تقديم عظات أخلاقية وتوجيهات سياسية متنوعة المواضيع، موجهة في المقام الأول إلى الملوك والسلاطين.

وبالرغم من شهرة الكتاب وتشوّقي لقراءته منذ وقت طويل، إلا أنه لم يقدر لي ذلك إلا في الصيف الماضي، رغم حصولي على نسخة منه منذ أكثر من ثمانية وعشرين عاماً حينما كنت طالباً في الصف الثاني الإعدادي، بمناسبة فوز فريق المدرسة في مسابقة القرآن الكريم التي نظمتها وزارة التربية والتعليم بالبحرين، وتمّ تكريمنا بإهدائنا نسخة فاخرة منه.

وقد كتب فاروق سعد - محقق الكتاب - مقدمة ضافية، أفصح فيها عن الغرض الذي قصده ابن المقفع من وضع هذا الكتاب وهو ما كان أخفاه ولم يبينه، وهذا الغرض يمكن تلخيصه في أنه يتضمن النصح للخلفاء حتى لا يحيدوا عن الصواب، وتنفتح أعين الرعية حتى يعرفوا الظلم من العدل، وحتى يطالبوا بتحقيق العدل، ولم يوضحه ابن المقفع لأن في أيضاحه خطراً عليه من المنصور العباسي.

فابن المقفع في هذا الكتاب تكلم على لسان (بَيْدَبَا) الفيلسوف وجعل موقفه مع الخليفة المنصور موقف بيدبا من الملك

_دَبْشَليم) ليكون الكتاب نصيحة غير مباشرة للخليفة .

وقد رتبه على عشرين باباً - إذا عددنا عرض الكتاب ومقدمته بابين من ضمن الأبواب - كل باب منها قائم بنفسه ، وفي كل باب مسألة والجواب عنها ليكون لمن نظر فيه حظ من الهداية ، وجعل كلامه على ألسن البهائم والسباع والطير ليكون ظاهره تسلية ، وباطنه حكمةً وأدباً .

وضمنه أيضاً ما يحتاج إليه الإنسان من أمر دينه ودنياه ، وآخرته وأولاه ، وكذلك ما يحتاج إليه الملوك من سياسة رعاياهم ، وإدامة ممالكهم .

ويلاحظ أن كل باب يحتوي على خرافة رئيسية طويلة تتخللها خرافات قصيرة ترد عادة على سبيل الاستشهاد وتتداخل مع بعضها البعض أحياناً ، وتبدأ الأبواب بجملة تتكرر في أولها على لسان الملك دبشليم موجهة للفيلسوف بيدبا : "عرفت - أو سمعت - هذا المثل" ويشير بذلك إلى ما سبق في الباب الذي قبله ، ثم يتبعه بقوله : "فاضرب لي مثل كذا وكذا" ، فيشرع بيدبا بمقدمة أشبه ما تكون بالعنوان المشوق لمعرفة مضمونه ، ثم يسكت هنيهة فيبادر الملك دبشليم إلى السؤال : "وكيف كان ذلك ؟" وهنا ينطلق الفيلسوف في سرد حكاياته وأمثاله الخرافية مستهلاً بقوله : "زعموا ..." .

فعلى سبيل التمثيل جاء في الباب العاشر - وهو من أقصر الأبواب - حكاية "الناسك وابن عِرس" وفي أولها :

"قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : قد سمعت هذا المثل ، فاضرب لي مثل الرجل العجلان في أمره من غير روية ولا نظر في العواقب .

قال الفيلسوف : إنه من لم يكن في أمره متثبتاً ، لم يزل نادماً ،

ويصير أمره إلى ما صار إليه الناسك من قتل ابن عِرْس (دُويبة دون السنّور له ناب) وكان له ودوداً .

قال الملك : وكيف كان ذلك ؟

قال الفيلسوف : زعموا أن ناسكاً من النساك كان بأرض جرْجان وكانت له امرأة جميلة ... ثم إن المرأة ولدت غلاماً جميلاً ففرح به أبوه ، وبعد أيام حان لها أن تتطهر فقالت المرأة للناسك : أقعد عند ابنك حتى أذهب إلى الحمام فأغتسل وأعود .

ثم إنها انطلقت إلى الحمام وخلّفت زوجها والغلام ، فلم يلبث أن جاءه رسول الملك يستدعيه ، ولم يجد من يخلفه عند ابنه غير ابن عرس داجن عنده كان قد رباه صغيراً فهو عنده عديل ولده ، فتركه الناسك عند الصبي وأغلق عليهما البيت وذهب مع الرسول ، فخرج من بعض أحجار البيت حية سوداء ، فدنت من الغلام فضربها ابن عرس ثم وثب عليها فقتلها ، ثم قطّعها وامتلأ فمه من دمها ، ثم جاء الناسك وفتح الباب ، فالتقاه ابن عرس كالمبشّر له بما صنع من قتل الحية ، فلما رآه ملوّثاً بالدم وهو مذعور طار عقله ، وظن أنه قد خنق ولده ، ولم يتثبت في أمره ولم يتروّ فيه حتى يعلم حقيقة الحال ، ويعمل بغير ما ظن من ذلك ، ولكن عجّل على ابن عرس وضربه بعكازة كانت في يده على أم رأسه ، فمات . ودخل الناسك فرأى الغلام سليماً حياً ، وعنده أسود مقطّع ، فلما عرف القصة وتبين له سوء فعله في العجلة ، لطم على رأسه وقال : ليتني لم أرزق هذا الولد ولم أغدر هذا الغدر .

ودخلت امرأته ، فوجدته على تلك الحال ، فقالت له : ما شأنك ؟

فأخبرها بالخبر من حسن فعل ابن عرس وسوء مكافأته له ،

فقالت : هذه ثمرة العجلة .

فهذا مثل من لا يتثبت في أمره ، بل يفعل أغراضه بالسرعة والعجلة" انتهى ملخصاً .

وفيما يلي أعرض نبذاً سريعةً وتعريفاً وجيزاً بكل باب من الأبواب .

١- عرض الكتاب :

وقد استهله ابن المقفع بقوله : "هذا كتاب (كليلة ودِمنة) وهو مما وضعه علماء الهند من الأمثال والأحاديث التي ألهموا أن يدخلوا فيها أبلغ ما وجدوا من القول في النحو الذي أرادوا ، ولم تزل العلماء من أهل كل ملة يلتمسون أن يعقل عنهم ، ويحتالون لذلك بصنوف الحيل ، ويبتغون إخراج ما عندهم من العلل ، حتى كان من تلك العلل وضع هذا الكتاب على أفواه البهائم والطير ، فاجتمع لهم بذلك خلال" .

ثم توجه ابن المقفع بعد ذلك بنصيحة الى المطالع لكتاب يستحثه فيها أن يُعنى بأمرين :

الأول : أن يعرف الوجوه التي وضعت له والغاية التي لأجلها نسبه مؤلفه إلى البهائم وأضافه إليها ، فإن قارئه متى لم يفعل ذلك لم يدر ما أريد بتلك المعاني ولم يفهم ما فيه لم ينتفع بما بدا له من خطه ونقشه .

الثاني : أن يعمل بما علم منه لينتفع به ويجعله مثالاً لا يحيد عنه ، فالعلم لا يتم إلا بالعمل ، وهو كالشجرة والعمل به كالثمرة .

٢- مقدمة الكتاب :

ذكر فيه السبب الذي من أجله عمل بيدبا الفيلسوف الهندي ورأس البراهمة لدبشليم ملك الهند كتابه الذي سماه : (كليلة ودِمنة) -

وهما ابنا آوى وكانا ذوي دهاء وعلم - وجعله على ألسن البهائم والطير ، كما ذكر السبب الذي من أجله أنفذ (كسرى أنوشروان) ملك الفرس (برزويه) رأس الأطباء إلى بلاد الهند لأجل الحصول على نسخة من هذا الكتاب ، فقد كان شغوفاً مولعاً بالكتب والعلم والأدب والنظر في أخبار الأوائل .

٣- باب برزويه :

وهو رأس أطباء فارس الذي تولى انتساخ هذا الكتاب وترجمه من الهندية إلى الفارسية .

٤- باب بعثة برزويه إلى بلاد الهند :

لما بلغ خبر هذا الكتاب ملك فارس لم يقرّ قراره حتى بعث برزويه الطبيب في طلبه وإحضاره ، وأوصاه بالتلطف من حين مضيه إلى بلاد الهند حتى قدومه إلى فارس ، فسافر إلى هناك متنكراً واستطاع بالحيلة أن ينسخ الكتاب خفية بمعونة خازن الملك الهندي .

٥- باب الأسد والثور :

وهو أوسع الأبواب ، وفيه مَثَلُ الواشي والكذوب المحتال الذي يفسد بالنميمة المودة الثابتة بين المتحابين حتى يحملهما على العداوة والبغضاء والتقاطع والتدابر ، والواشي هنا هو (دمنة) ، والمتحابان هما (الأسد والثور) .

ويكشف هذا الباب عن خفايا السياسة الداخلية في الدولة وصراع السياسيين وتنافسهم لا سيما المقربين منهم من الملك وبطانته وأهل الرأي والمشورة منهم .

٦- باب الفحص عن أمر دمنة :

وهذا الباب تتمة للذي قبله ، ويعرض للسلطة القضائية و واجباتها ، وفيه مَثَلُ من أراد منفعة نفسه - وهو هنا دمنة - بضر غيره

- وهو هنا صديق الملك : الثور شَتْرَبَةُ - باستعمال المكر والدهاء، ولكنْ دهاؤه ومكره رجعاً إليه ، وافتضح أمره وكان جزاؤه الذي ناله في الدنيا على يد الملك هو : حبسه ثم قتله أشنع قتلة .

📖 ٧- باب الحمامة المطوقة :

وهو عبارة عن مجموعة من العظات الأخلاقية ، وفيه مثل إخوان الصفا وكيفية تواصلهم وتعاضدهم وتعاونهم وائتلافهم في الصحبة .

📖 ٨- باب البوم والغربان :

وفيه مَثَل العدو الذي لا ينبغي أن يُغترّ به وإن أظهر تضرّعاً وتودّداً ، ويقدم بعض التوجيهات في مجال السياسة الخارجية .

📖 ٩- باب القرد والغَيْلم :

وفيه مثل الرجل الذي يطلب الحاجة فإذا ظفر بها أضاعها .

📖 ١٠- باب الناسك وابن عِرس :

ويعرض فيه للرجل العجلان الذي لا يتثبت في أمره بل يفعل أغراضه بالسرعة والعجلة من غير نظر في العواقب

📖 ١١- باب الجُرَذ والسّنّور :

ويتناول السياسة الخارجية من خلال مثل الرجل الذي كثر أعداؤه وأحدقوا فيه من كل جانب ، فلما أشرف معهم على الهلاك ، التمس النجاة والمخرج بموالاة بعض أعدائه ومصالحتهم ، فسلم من الخوف وأمن ثم وفي لمن صالحه منهم .

📖 ١٢- باب ابن الملك والطائر فَنْزَة :

وفيه مثل أهل الضغائن الموتورين الذي لا ينبغي لبعضهم أن يثق ببعض ، بل لابد لبعضهم من الاحتراس من الآخر .

📖 ١٣- باب الأسد والشّغبر (ابن آوى) :

وفيه بعض العظات الأخلاقية الفردية من خلال مثل الملك

الذي يراجع من أصابته منه عقوبة من غير جرم ، أو جفوة من غير ذنب ، ويعتذر إليه مما كان منه ، ويردّه إلى ما كان عليه من منزلة ومكانة .

📖 ١٤- باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت :

ويقدم هذا الكتاب توجيهات في أصول الحكم ، والأخلاق الذاتية التي يجب على الملك أن يلزم بها نفسه ويحفظ بها ملكه ويثبت سلطانه ، ورأس ذلك وملاكه : الحِلم .

📖 ١٥- باب مهرايز ملك الجرذان :

وفيه تبصرة الملوك بضرورة اختيار المشير الناصح الحكيم ، وكيفية التماسه .

📖 ١٦- باب اللبؤة والأسوار والشغبر :

وفيه مثل من يدع ضر غيره إذا قدر عليه خشية أن يصيبه ذلك الضر على حد قولهم : ما لا ترضاه لنفسك لا تصنعه لغيرك .

📖 ١٧- باب الناسك والضيف :

وفيه مثل الذي يدع صنعه الذي يليق به ويتكلف من الأمور ما لا يشاكله ، فلا يدركه ، فيبقى حيران متردداً ، كالذي يعجبه لسان غيره فيطمع أن يتعلمه ، ويتكلف ذلك فلا يقدر على إحكامه ، ويريد أن يعود إلى لسانه الذي كان عليه ، فإذا هو قد اختلط ونسي لسانه ، ورجع إلى أهله وهو شرهم لساناً .

📖 ١٨- باب السائح والصائغ :

ويحوي بعض العظات الأخلاقية الفردية ، مثل الرجل الذي يضع المعروف في غير موضعه ويرجو الشكر عليه .

📖 ١٩- باب ابن الملك وأصحابه :

ويتضمن حكاية ظريفة عن الرجل الجاهل يصيب الرفعة

والخير ، والرجل الحكيم العاقل قد يصيب البلاء والضر .

٢٠- باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين :

وينطوي على تحذير للإنسان العاقل من أن يكـون مثـل الـذي يرى الرأي لغيره ويعلمـه الحيلـة ، ويعجـز عـن ذلـك لنفسـه ، حتـى يستمكن منه عدوه ثم يجهز عليه .

وقد كنت - قبل قراءتي للكتاب - أظن أن عمل ابن المقفع لا يتعدى ترجمته إلى العربية ، ولكن محقق الكتاب الأسـتاذ فـاروق سـعد أثبت في مقدمته له أن ابن المقفع قد أضاف إليه عبـارات بـل زاد فيـه أبواباً ، كباب)الفحـص عـن أمـر دمنـة) وبـاب (الحمامـة والثعلـب ومالك الحزين) اللّذين يكاد يجمـع البـاحثون - ومنـهم بروكلمـان في كتابه : (تاريخ الأدب العربي) - على أن موضوعهما مـن ابتكـار ابـن المقفع ، استناداً إلى عدم وجودهما في النسـخة السـريانية الـتي ترجمـها الراهب الإيراني (بود) عام ٥٧٠هـ ،ولأنه ليس لهما مصادر أجنبية .

ومما يؤيد هذا الاتجاه وجود كلمات : (إن شاء الله) و (بإذن الله) و (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) ونحو ذلك في ثنايا الكتـاب ومنعطفاته ، إلاّ أن يقال أن ابن المقفع قد تصرف بالكتاب ليتلاءم مـع البيئة والثقافة الإسلامية .

الحقيقة أن هـذا الكتـاب - الـذي يعـد درّة حكايـات خرافـات الحيوان - نسيجُ وحـدِه ، سـواء في أسـلوبه الشـائق ، أو في موضوعـه وبابه ، أو في أمثالـه وعظاتـه ، ولذلـك حرصـت الأمـم علـى اقتنائـه وترجمته إلى لغاتها الفارسية والسريانية والعربيـة والعبريـة واللاتينيـة القديمة ثم إلى مختلف اللغات الأوربية الحديثة .

***

شبهات المستشرقين
حول جمع القرآن الكريم وكتابته وتفنيدها

بقلم : الأخ عبد الوكيل مسرور عبد الهادي
(المتعلم بكلية اللغة العربية - الجامعة الإسلامية - بالمدينة المنورة)

إنه لا يخفى على أحد أن الصراع بين الإسلام والكفر مـا زال ولا يزال قائماً إلى يوم القيامة : ﴿ يُرِيْدُوْنَ لِيُطْفِئُـوْا نُـوْرَ اللهِ بِأَفْوَاهِـهِمْ * وَاللهُ مُتِمُّ نُوْرِهِ * وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُوْنَ ﴾ من الأبواب الـتي يريـد أعـداء الإسلام أن يدخلوا منها ويشوّهوا بها وجه الإسلام الوضّاء ، وهو باب التشكيك في الكتـاب السـماوي مـن جميـع النواحـي والطـرق ، وقـد نسبوا إلى كتاب الله الكريم أشياء لا تليق بجلالـه ، ورمـوه بـالتحريف والتبديل - تعالى كتاب الله عن ذلك علـواً كبـيراً - ومـهما بلـغ كيـد الأعداء ومكرهم فالله هو خير الماكرين ، وكتابه العلـي الحكيـم : ﴿ لاَ يَأْتِيْهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ * وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ ﴾ لأن الله تعالى قـد تكفّـل بحفظه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ * وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُوْنَ ﴾ .

كل منصف نو نظـر بعـين الإنصـاف والحيـاد العلمـي النّزيـه وتجرّد من الهوى والعصبيـة لحكـم دون تـردّد أن مـا في المصحـف هـو الذي أنزل على الرسول الكريـم ﷺ ، فجميـع الأسـباب قـد تـهيأت لحفظ هذا الكتاب من النقص والزيادة .

ولا يترك الشئ الظاهر المعلوم إلى ما ليس ثابتاً ، وما لا سـبيل إلى العلـم بثبوتـه ، ولكـن العصبيـة والحقـد وخلـل المنـهج جعلـت المستشرقين لا يقرّون بهذه الحقيقة ، فإنهم نظـروا إلى القـرآن الكريـم من منظور كتبهم التي دخل فيـها التحريـف والتبديـل نتيجـة ظـروف متعدّدة ، ومن جهة أخرى تجاهلوا الحقائق التاريخية الناطقة بسلامة هذا

الكتاب من التحريف.

ولما وضع المستشرقون نصب أعينهم أن القرآن حُرّف حتى قبل أن يجدوا أيّ شبهة، راحوا يبحثون عن شبه ليدعموا افتراءاتهم تارة، وتارة أخرى بتعمد فهم النصوص فهماً خاطئاً ليوافق هواهم، ومن جهة ثالثة جهلهم بشروط قبول الخبر أوقعهم في أخطاء فاضحة، ولذلك نجدهم يقعون في أخطاء متعددة، لأنهم يعتمدون على مناهج في غاية الغرابة وبعيدة كل البعد من الحيادية والمنهج العلمي السليم، يقول محمد أسد: "وإذا نظرنا إلى المستشرقين الأوربيين أثناء دراستهم للأديان والحضارات الأخرى - غير الإسلامية - نرى أن دراساتهم تتصف بالرصانة والاتزان، وفي بعض الأحيان بالتقدير والإجلال، بينما نرى الموازين تنقلب عند دراستهم للإسلام، فهم يتنكّرون عند بحثهم لهذا المنهج فتسيطر عليهم المحاباة العاطفية، فتضطرب وتختل موازينهم، وتجانب الحق، وتبعد عن الصواب" (١).

وسنركّز في الردّ على افتراءاتهم على أهمّ السمات البارزة لمنهجهم في الطعن في صحة نقل القرآن وسنورد على ذلك أمثلة من افتراءاتهم حتى يستبين الأمر لكل ذي بصيرة.

أولاً - إغفالهم جانب الحفظ:

من الملاحظ أن المستشرقين حين يدرسون القرآن يتعمدون إغفال جانب الحفظ لدى الصحابة، بل قد يزعم البعض أن سبب التحريف هو كتابة القرآن الكريم.

مثال ذلك: يقول كازانوفا (Casanova.p): إني أؤكّد أن مذهب محمد (ﷺ) الحقيقي إن لم يكن قد زيف فهو على الأقل ستر بأكبر العنايات وأن

(١) الطريق إلى مكة: محمد أسد: ص/٢٠.

الأسباب التي دفعت أبا بكر أولاً ثم عثمان (رضي الله عنهما) من بعده على أن يمدّا أيديهما على النص المقدس، وهذا التغير قد حدث بمهارة بلغت حدّاً جعل الحصول على القرآن الأصلي يشبه أن يكون مستحيلاً (٢).

الجواب: يقول شكيب أرسلان في معرض ردّه على فرية المستشرقين بتحريف القرآن الكريم: "وهم مطلقو العنان لخيالاتهم في هذا الموضوع بحسب عاداتهم ويخبطون خبطاً كثيراً كما هو دأبهم إذا تكلموا عن الشرق والإسلام، وليس بشئ مما يظنونه بصحيح، وكل هذا إمّا جهل بتاريخ القرآن، وإمّا تجاهل مقصود منهم، فالقرآن كان محفوظاً في صدور ألوف من الرجال، وفي صدور عدد كبير جداً من الصحابة ممن يستحيل تواطؤهم على الكذب" (٣).

ويمكننا تفنيد هذا الزعم من وجهين:

أولاً: هذه فرية فاضحة بعيدة كل البعد عن الحقائق التاريخية، من ذلك:

١- من الحقائق الثابتة أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يحفظون كتاب الله حفظاً دقيقاً، وهذا هو المعروف عند العرب، وما زال المسلمون يحفظون كتابهم بعكس الملل الأخرى فكان من خصائص هذه الأمة حفظها كتاب ربّها في صدورها.

٢- كان الصحابة في روايتهم عن رسول الله ﷺ يتقيدون بألفاظه خشية أن يزيدوا أو ينقصوا من الحديث، ولا يعقل بعد ذلك أن يقروا بتحريف القرآن - كما يزعم المستشرقون - بهذه السهولة.

(٢) راجع: المستشرقون والقرآن: محمد أمين حسن محمد بني عامر: ص/٢٧٣، نقلاً عن: نظرات استشراقية في الإسلام: محمد غلاب: ص/٩٢.
(٣) حاضر العالم الإسلامي: ج/١، ص/٧٣.

٣- كان الصحابة رضي الله عنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم ، وهم الذين قالوا لعمر ﷺ ؛ وهو خليفة : لو رأينا فيك اعوجاجا لقوّمناك بحدّ السيف ، لا يعقل عقلاً أن يقوم أحد من الخلفاء بحذف شئ من كتاب الله أو الزيادة فيه ويسكت الصحابة على ذلك ، والقرآن أحب إليهم من أموالهم وأنفسهم وأولادهم والناس أجمعين ، وما سكوتهم على ذلك إلا دليل على رضاهم (٤) .

ثانياً - إلقاء التهم جزافاً بغير دليل :

مثال ذلك : يقول (كازانوفا) : إن القرآن قد أدخلت عليه بعد وفاة النبي الكريم ﷺ تغييرات قام بها خلفاؤه ليفصلوا ... بين بعثة الرسول وقيام الساعة اللتين يرى ارتباطهما مباشراً ، والدليل على ذلك ما ورد في الآية : ﴿ **وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِيْ نَعِدهُمْ أَوْ نَتَوَفِّيَنَّكَ * فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ * وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ** ﴾ (الرعد/٤٠) فزعم كازانوفا أن أصحاب النبي الكريم ﷺ حين رأوا أن الساعة لم تقم وضعوا في صيغة التعبير صورة الشك موضع اليقين ، ولا يستبعد أن الآية قبل التبديل هي كالآتي : ﴿ **وَسَنُرِيْكَ بَعْضَ الَّذِيْ نَعِدهُمْ** ﴾ ويتساءل كازانوفا ، هل يُعقل أن الإله - وهو سيد الأقدار - لم يستطع أن يحدّد مسألة بسيطة ، وأنه يجهل هل سيموت ، أو يعيش إلى نهاية العالم في حين أنه علم بالساعة علم اليقين ، ولكنه لم يشأ أن ينبئ بهذا العلم ؟" (٥) .

الجواب : هذه الشبهة مع عدم وجود دليل على مزاعمه ، فهي مبنية على عدم معرفته باللغة ، ويمكن تفنيد هذه المزاعم من وجوه :

---

(٤) رواه ابن أبي داؤد (كتاب المصاحف) : ص/٣٠ .

(٥) راجع : نقد الخطاب الاستشراقي : ساسي سالم الحاج : ج/١ ، ص/٣٢٠-٣٢١ .

١- ليس لديه دليل أو شبه دليل على مزاعمه وافتراءاته ، بل هي نتاج بنات أفكاره .

٢- وقوله هذا يناقض ما عرف عن الصحابة رضي الله عنهم بالأمانة والصدق ، والحرص على كتاب الله وحفظه من الضياع والعبث والزيادة والنقصان ، كل ذلك مما تواتر عنهم رضي الله عنهم .

٣- نظراً لعدم فهمه بأساليب اللغة العربية ظن أن معنى الآية شك الله سبحانه في موعد وفاة رسول الله ﷺ ، والمعنى ليس كذلك ، إذ الآية عطف على جملة : ﴿ **يَمْحُوْا اللهُ مَا يَشَاءُ * وَيُثْبِتُ * وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَاب** ﴾ (الرعد/٣٩) باعتبار ما تفيده من إبهام مراد الله في آجال الوعيد ومواقيت إنزال الآيات ، فبيّنت هذه الجملة أن النبي الكريم ﷺ ليس مأموراً بالاشتغال بذلك ولا بترقبه ، وإنما هو مبلّغ عن الله لعباده ، والله يعلم ما يحاسب به عباده سواء شهد النبي الكريم ﷺ ذلك أم لم يشهد ، قال الفخر الرازي : والمعنى : سواء أريناك ذلك أو توفّيناك قبل ظهوره ، فالواجب عليك تبليغ أحكام الله وأداء أمانته ورسالته وعلينا الحساب (٦) .

ثالثاً - إساءة فهم النص عمداً :

مثال ذلك : يقول نولديكي : عبر بعض العلماء المسيحيين الغربيين عن شكّهم بأن بعض التحريفات أدخلت عمداً إلى نصّ القرآن في نسخة عثمان ، والنسخة التي اعتمد عليها أول من عبّر عن هذا الشكّ كان المستشرق الفرنسي (سيلفستردي ساسي) وذلك بالنسبة لسورة آل عمران /١٤٤-١٤٨ من آل عمران : ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُوْلٌ * قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ * أَفَإِنْ مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى**

---

(٦) تفسير (التحرير والتنوير) : ابن عاشور : ج/٧ ، ص/١٦٩ .

أعْقَابِكُمْ * وَمَنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ * فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً ... وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ، بعدها اتخذ قائل هذا الرأي و وسعه ليشمل آيات أخر ، ناسباً ذنب القيام بهذه الإضافات إلى الخليفة أبي بكر نفسه ، ودليله على ذلك كون عمر لم يشأ أن يصدق بوفاة محمد ﷺ ، وعبّر عن ذلك باندفاع شديد أمام المسلمين جميعاً ، ولم يعدل عن رأيه إلا بعد تدخل أبي بكر الصديق الذي تلا السورة وقد بدا لعمر - أو كما تقول روايات أخرى لسائر المسلمين - وكأنهم لم يسمعوا هذه الآيات من قبل (٧) .

الجواب : من الملاحظ أن التجني على النص واضح ، وفهم النص فهماً خاطئاً واضح جلي كذلك :

أولاً : فجع الصحابة رضي الله عنهم بوفاته ﷺ ، لأنه كان أحب إليهم من أنفسهم وأولادهم ، قالت عائشة رضي الله عنها : فاقتحم الناس ، حتى ارتفعت الرنّة وسجّى رسول الله ﷺ الملائكة ، وقعد الرجال فكانوا كأقوام ليس فيهم الأرواح ، وحق لهم في أطوار من البلاء قسمت بينهم ، وكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فما تكلّم إلا بعد البعد ، وخلط آخرون وبقي آخرون ومعهم عقولهم وأُقعد آخرون ، فكان عمر ممن كذب بموته ، وعليّ فيمن أُقعد وعثمان فيمن أُخرس ، فأُناس هذا حالهم في فاجعة ألّمت بهم فأنستهم المصيبة الآية ، فهل هذا مدعاة للقول بأن أبا بكر ﷺ زاد في القرآن الكريم ما ليس منه ؟!

وقول عمر ﷺ : "فلكأنّي لم أقرأها إلا يومئذٍ" يدل على أن الفاجعة أنستهم الآية ، ويؤكّد ذلك ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما : ولكأن الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزل الآية حتى تلاها

(٧) تاريخ القرآن : نولديكي ٢/٣١، ونولديكي في كتابه يورد هذه الفرية ويردّ عليها .

أبو بكر الصديق ﷺ فتلقاها منه الناس ، فما يسمع بشر إلا يتلوها (رواه البخاري في صحيحه : الجنائز : ٢٠٢٣ ، ص/٧٧) .

ثانياً : إن أبا بكر في تلك الفترة لم ينصب خليفة على المسلمين فكيف يجرؤ على إدخال الزيادة في كتاب الله !؟ وحادثة إنكار عمر ابن الخطاب ﷺ على هشام بن حكيم دليل على تهافت هذه الفرية .

ثالثاً : هنالك آيات كثيرة كانت تشير إلى بشرية الرسول الحبيب ﷺ والرسل من قبله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً ﴾ (يوسف/١٠٩) في ثلاث آيات وغيرها من الآيات التي تدل على أن رسول الله ﷺ بشر يجرى عليه ما يجرى على البشر من السنن الكونية .

رابعاً - جهلهم بقواعد قبول الخبر :

مثال ذلك : زعم المستشرقون أن الرسول الكريم ﷺ لم يجمع القرآن بنفسه ولم يأمر أحداً بجمعه ، وإنما كان ذلك بجهد شخصي من بعض الصحابة وفي بعض المناسبات وأن الجمع الفعلي كان في المدينة المنورة بعد هجرته ﷺ تأثراً باليهود واستدلوا لذلك بأدلّة ، منها :

١- رواية عبد الله بن عمر ﷺ أنه قال : لا تجعلوا أحدكم يقول : لقد حصلت على مجمل القرآن ؛ فكيف يتسنى له أن يعرف ماذا كان ذلك المجمل ؟ إن كثيراً من القرآن قد ذهب فليقل بدلاً من ذلك : لقد حصلت على ما ظلّ موجوداً . (نسبه السيوطي في الإتقان : ج/١ ، ص/٢٦٩ : إلى الديرعاقولي في فوائده) .

٢- رواية منسوبة لزيد بن ثابت حيث قال فيها : "لقد مات النبي الكريم ﷺ ولم يكن قد تم جمع القرآن في أيّ مكان" . (آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره - عمر بن إبراهيم الرضوان : ج/١ ، ص/٤٣٧) .

٣- وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما : إن القرآن لم يجمعه أحد على عصر رسول الله ﷺ . (الانتصار للقرآن - الباقلاني : ج/١ ، ص/١٩٦) .

الجواب : يمكن تفنيد هذه الشبهة من وجوه :

أولاً : هذه الشبهة باطلة بأدلة متواترة ، فإذا أريد بالجمع حفظه في الصدور فقد حفظه رسول الله ﷺ في صدره بدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ وحفظه الصحابة وكان بمجرد نزول آية منه يأمر الرسول الكريم ﷺ كتبة الوحي بأن يكتبوها ويضعوها في موضعها من السورة ،عن عثمان ﷺ كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد ؛ فكان إذا نزل عليه الشئ منه دعا بعض من كان يكتب فيقول : ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا .

ثم إن الجمع بدأ بمكة المكرمة في العهد المكّي ، وكان عبد الله ابن أبي السرح يكتب القرآن لرسول الله ﷺ في مكة ، وكُتب القرآن الكريم في المدينة ، وبلغ عدد كتبة الوحي والمراسلات والخطابات الأربعين ونيفاً ، وعلى هذا لم تكن كتابة القرآن بتأثير من اليهود .

ثانياً : أما الرواية الأولى - على فرض صحتها - فيمكن حملها على أن المراد بها النهي عن حفظ كل ما نزل من القرآن ناسخه ومنسوخه ، لأن من القرآن ما نسخت تلاوته بعد نزوله ؛ فالواجب أن يقول : حُفظت من القرآن غير المنسوخ التلاوة .

أما الرواية الثانية والثالثة : فيمكن حملهما - على فرض صحتها - كما قال الخطابي : إنما لم يجمع ﷺ القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه ، أو تلاوته ، فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك ، وفاءً بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة ، فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر ﷺ (٨) .

(٨) الإتقان : السيوطي : ج/١ ، ص/٢٦٩ .

ثالثاً : وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما ما يناقض هذه الرواية المروية عنه ، حيث قال : جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة ، وعدّ معاذ بن جبل وأبياً ، وعبد الله ، وزيد بن ثابت (٩) .

رابعاً : ويحتمل أيضاً أن يكون معنى ذلك أن أحداً لم يحفظ جميع حروف القرآن السبعة التي أنزل عليها ، ولا أحاط بها في حياته ﷺ غيره ، ثم جمع ذلك منهم من يعمل بحفظها وأخذ نفسه بها كأبيّ وغيره من المبرزين في حفظ القرآن على جميع وجوهه وأحرفه (١٠) .

خامساً - تحريف النصوص والكذب حتى يوافق هواهم :

مثال ذلك : ما فعله المستشرق الإنجليزي (آرثر جفري) بنشر كتاب المصاحف لابن أبي داؤد فلم ينشره كما وجده ، بل تصرف فيه تصرفاً معيباً يتنافى مع أمانة البحث العلمي النزيه ، فعمد إلى بعض الروايات الظاهر ضعفها ، وترجم لها (بباب كذا) مثل باب (ما غيّر الحجاج في مصحف سيدنا عثمان) ولم توجد هذه التراجم في النسخة المخطوطة .

ولم يقف عند هذا الحدّ بل وضع مقدمة مملوءة بالغمز والطعن على القرآن ، وركّز هذا المستشرق على حثّ المسلمين على أن يبحثوا عن تطورات قرآنهم ، وتطورات قراءاته من أجل أن يعلموا أن القرآن الذي يقرؤونه الآن مغاير لما كان يقرؤه أصحاب رسول الله ﷺ .

وقد أورد المستشرق جفري في ملحقه الإنجليزي آيات وسوراً مخالفة للقرآن الكريم ادّعى أنه نقلها من كتب التفسير والقراءات دون أن يبيّن لنا كتاباً معيّناً حتى يمكن الرجوع إليه ، ومن النماذج

(٩) الانتصار للقرآن : الباقلاّني : ج/١ ، ص/١٩٧-١٩٨ .
(١٠) راجع : الانتصار للقرآن : الباقلاّني : ج/١ ، ص/١٩٧ .

التي كتبها زوراً وكذباً ما أضافه من كلام إلى سورة البيّنة : "رسول الله إليهم يتلو صحفاً مطهرةً ، وفيها كتب قيمةٌ ، ورأت اليهودية والنصرانية أن أقوم الدين الحنيفية مسلمة غير مشركة ، ومن يعمل صالحاً فلن يكفروه" (١١) .

ولو قرأ هذا المستشرق هذا الكتاب قراءة متأنية متبصرة لأدرك خطأ النتائج التي تفتّقت عنها قريحته ، فالكاتب نفسه عبد الله بن أبي داؤد يقول : لا نرى أن نقرأ إلا لمصحف عثمان الذي اجتمع عليه أصحاب النبي الكريم ﷺ ، فإن قرأ إنسان بخلافه في الصلاة أمرته بالإعادة (١٢) .

وهذه - أخي القارئ - نظرة سريعة على بعض شبهات المستشرقين وتفنيدها وردّها ، يتجلّى من خلالها تهافت شبهاتهم كتهافت الفراش على النار كما يتبين من خلالها حفظ الله لكتابه الكريم وتقييضه له جميع عوامل الحفظ حتى لا تدخل إليه يد التحريف والتبديل إلى يوم القيامة ، ولم يتكفل الله بحفظه فحسبُ بل أبقى القرآن الكريم معجزة من المعجزات الخالدة على مرّ القرون لا تنتهي ولا تنقضي عجائبه إلى يوم يبعثون .

وختاماً أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يوفّقنا للذود عن كتاب الله الكريم وخدمته والرد على شبهات المبطلين والجاحدين والمحرفين - آمين .

---

(١١) راجع : المستشرقون والقرآن : محمد أمين حسن محمد بني عامر : ص/٢٧٧-٢٧٧ نقلاً من كتاب (المصاحف) ابن أبي داؤد ، تحقيق جفري ، مكتبة المثنى بغداد : ص/١٧٩ .

(١٢) المستشرقون والقرآن : محمد أمين حسن محمد بني عامر : ص/٣٠٦ ، نقلاً من كتاب (المصاحف) ابن أبي داؤد ، تحقيق جفري ، مكتبة المثنى بغداد : ص/٥٣-٥٤.

صور و أوضـــاع :

مسئولية الدعاة في أوربا وأمريكا

واضح رشيد الحسني الندوي

يحمل الخطاب الأول للرئيس الأمريكي جورج بوش في الكونجرس الأمريكي الذي يسيطر عليه الديمقراطيون بعد فوزهم في الانتخابات الأخيرة إشارات إلى تغير في تفكيره واتجاه إلى إعادة النظر في إجراءاته وسياسته ، قد يكون ذلك بسبب خيبته في تحقيق أهدافه ، أو لمعارضة متنامية لسياسته ، وإحساسه بالضغط الشديد عليه في بلاده وخارج بلاده ، وخاصة في الأوساط السياسية ، وصعوبته في الحصول على الموافقة على إجراءاته في الكونجرس بعد غلبة معارضيه ومنتقديه.

قال المستر بوش وهو يطلب تأييد الكونجرس الأمريكي لبرنامج حكومته : إن سائر الأمريكيين يرغبون طبعاً في أن تضع الحرب أوزارها في العراق ، ولكن كيف يمكن أن نخذل أصدقاءنا ، ونترك الأمور بدون وصولها إلى نهاية ، ونتخلى عن وعودنا ، وندع سلامتنا في خطر ؟

وقال الرئيس بوش : إنكم طبعاً لا تصوتون في صالح الخيبة والهزيمة ، وطالب أن يمنحه الكونجرس فرصة لإكمال مهمته ، ويصوت في حق إرسال قوات إضافية إلى العراق .

و قدم الرئيس الأمريكي عدة مشاريع إصلاحية في مجال التعليم ، والصحة ، وقوانين الهجرة ، والطاقة ، والاقتصاد ، وفي الوقت نفسه رفض أي تنازل أو إعادة نظر في سياسته إزاء العراق .

وكان من بين الخطوات التي عرضها الرئيس بوش إيجاد وسائل بديلة للبترول المستورد ، وتقليل الاعتماد على بترول الشرق الأوسط ، وطالب بوش بتخفيف استهلاك غاز ولبن في الولايات المتحدة بنسبة عشرين في المائة لمدة عشر سنوات ، وقال : إن تحقق ذلك فإننا نوفر ثلاثة أرباع استيرادنا من الغاز من الشرق الأوسط ، وقال الرئيس بوش : إن بلدنا منذ مدة طويلة يعتمد على الزيت الأجنبي ، وإن افتقارنا إلى هذا الزيت واعتمادنا عليه ، هو الذي يجعلنا عرضة للحكومات المعادية ، ويتصاعد خطر هجوم الإرهابيين عن طريق قطع التموين ، أو رفع الأجور ، وفي الحالتين تتضرر مصلحة بلادنا .

يدل هذا الخطاب على أن الرئيس بوش يواجه معارضة شديدة لسياسته من الكونجرس الجديد الذي يستولي عليه الديمقراطيون الذين يعارضون سياسته

في العراق ، ولا يتفقون مع مشروعه لإرسال جنـود إضـافيين إلى العـراق ، وأنـه يواجه مطالبة شعبية بسحب القوات الأمريكية من العراق لتصاعد عدد القتلى والجرحى ، رغم المحاولات القصوى من قبل الحكومة لإخفـاء ضخامـة الخسـائر ، وانخفاض الروح المعنوية في القوات الأمريكية ، وفشلها في إقرار السلام .

ولعل الرئيس بوش عرض الخطوات الإصلاحيـة للفـت الانتبـاه عـن قضية العراق ، وتخفيف حدة المعارضة المتصاعدة لسياسته ، وقد أفادت الأنباء بأن التذمـر يتصـاعد في أمريكـا ، والانتقـادات الشـديدة لسياسـة العـراق ترتفـع وتتصاعد في العالم كله ، وقد خص الرئيس بوش بطبيعة العناد وعدم الخضـوع لأي ضغط ، أو قبول رأى مخـالف لرأيـه ، ولذلـك يصـر علـى سـداد إجراءاتـه ويبررها ، ولكن هناك سؤال : إلى أي حد يستطيع الرئيس بـوش مواجهـة هـذه المعارضة في داخل بلاده وخارجها ، ويصمد في وجهها ؟

لقد ورّط الرئيس بوش بلاده في مجابهة مع عـدة دول ، و وضـع قـوات بلاده في حالة حرب منذ علة سنوات إثر الهجـوم المزعـوم علـى مركـز التجارة العالمية في ٩/١١ ، بل منذ أزمة الكويت ، وبدأ هـذا الوضـع يؤثـر علـى اقتصـاد بلاده ، وقد كانت حـرب العـراق للقـاعدة ، أو الإطاحـة بـالحكم الديكتـاتوري لصدام حسين ، وإقامة نظام ديمقراطي ، تستهدف في الحقيقة السيطرة على آبـار البترول في العراق ، كما كانت حرب أفغانستان للسيطرة على ذخائر البترول في آسيا الوسطى ، ويبدو من اقتراح الرئيس بـوش بـالتقليل مـن الاعتمـاد علـى البترول الخارجي ، بتخفيف نسبة استهلاكه المحلي أنه بدأ الآن يشـعر بخيبتـه في تحقيق نواياه ، وأنه بدأ يشعر بأن حلمه لا يتحقق .

وقد وصف الرئيس الأمريكي جورج بوش أن الشيعة والسـنة وجـهان لعملة واحدة ، وهو التطرف الإسلامي ، وأشار إلى أسامة بن لادن والزرقـاوي ، وقال : إنهما يشكلان معسكراً واحداً من معسكرات التطرف الإسلامي ، واتهم العراق بمساعدة حزب الله مالياً وعسكرياً ، وقال : إن حـزب الله مثـل القـاعدة ، يشكل خطراً لأمريكا ، ويشكل هذا التصريح أيضاً أن الرئيس بوش كان يعتمد في حرب العراق على الشيعة ، وقد بدأ يفقد ثقته بهم .

أما طلبه بتأييد خطته لإرسال جنود إضافيين إلى العراق فهو الآخر يـدل على شعوره بالخيبة في السيطرة على العراق ، فإن المجزرة تستمر في العراق ، رغم وجود أكثر من مائة وخمسين ألف من الجنود الأمريكيين ، وقد أثبتـت الأحـداث أن هذه القوات لا تقدر على إقرار سيادة أمريكا وسيطرتها على البلاد ، وتـأمين سلامة الجنود الأمريكيين ولا منح القوات العراقيـة الحمايـة والوقايـة الكافيـة ، وبدون إقرار الأمـن والسـلام في المنطقـة تظـل آبـار البـترول في موضـع خطـر

والقوات العراقية مهددة بالهجمات الفدائيـة ، وكيـف يتغـير الوضـع بوصـول عشرين ألف آخرين ، وقد يكون الهدف من إرسال هؤلآء الجنود الإضافيين رفـع معنوية الجنود المتواجدين في العراق ، الذين يعانون من انهيار عصبي للحملات المتزايدة ، والخسائر المرتفعة للجنود بأيدي المقاومين في العراق .

إن تجربة العالم مع أمريكا تدل على سوء تدبير أو قلة معرفـة للواقـع ، فتسرع أمريكا في التدخل واتخاذ إجراء عسكري في أي بلد تتخـاصم معـه ، ثـم تخرج بعد الإخلال بالنظام كما حدث في فيتنام ، وكوريا ، والصومال ، والصـين ، مولية أدبارها ، خاذلة أصدقائها .

وقد أشار إلى ذلك الرئيس الأمريكي بقوله : كيف نـترك الأمـور قبـل الوصول إلى نتيجة منشودة ، ونخذل أصدقائنا ، وكيف نخـرج مـن الحـرب بـدون النصر ؟

إن هذه الأسئلة التي أثارها الرئيس الأمريكـي هـي في الواقـع تشـكل صورة المستقبل ، ولمثل هذه النتائج أمثلة كثيرة في تاريخ العالم المعاصر ، والماضي القريب .

وقد كتب أحد المعلقين في الصحف الإنجليزية أن الرئيس بوش مجبـول على طبيعة العناد ، والتمسك برأيـه مـهما كـانت النتـائج ، وأنـه يختلـف عـن الرؤساء السابقين ، ولكن هذه الطبيعة للعناد ستكلف بـلاده خسـارة فادحـة في سائر المجالات ، وقد بدأت آثار هذه الخسائر تظهر ، ويشعر بها الأمريكيون .

وقد كتب أحد الكتاب البارزين في صحيفة تائمس آف إنديا The Timse of India عن الرئيس الأمريكي بـوش أنـه شـخصية غامضـة Mysterious Mr. Bush ، وقال : إنه لا مثيل له في تاريخ أمريكا ، إلا رجرد نكسن ، وأنه شخصية متنـازع فيها ، كما كان نكسن ، ولكن كان نكسن داهية ، أما بـوش فمعرفتـه محـدودة ، وهو لا يعرف عن العالم كثيراً ، ولا بموقع الدول في الخريطة .

لقد أصبح الرئيس الأمريكي بهذه الطبيعة خطراً على الأمن العـالمي ، فقد ساد الخوف و الذعر في العالم لحربه على ما سماه بالإرهـاب ، أو مـا يسـميه الآن بالتطرف الإسلامي ، وقد كان المواطنون والمـهاجرون والمسـافرون في أوربـا وأمريكا يعيشون في جو من الثقة والطمأنينة ، وكانت أوربا كلـها تعتـبر ملجـأ للمنكوبين والمشردين والمضطهدين ، وخاصـة أمريكـا كـانت مثـوى المطرودين والبؤساء ، ومصدر خير وإسعاف وإنقاذ ، لكن الوضع بهذه الحرب المعلنـة مـن قبل الرئيس الأمريكي الذي وصفه بعـض المعلقين السياسـيين برئيـس عـهد الحرب ، قد تغير كلياً ، وأصبح كل شخص مشبوهاً ، وكل شخص في حالة حذر واحتراس ، وامتد هذا الخوف إلى آسيا وإفريقيا ، وأصبح الإرهاب ظاهرة عامـة ،

أو شبحاً يطارده كل حاكم في بلاده، حتى الرجل العادي لا يشعر بالأمن والسلامة، وإذا استمرت هذه السياسة الطائشة واستعمر عناد الرئيس الأمريكي وعدم مبالاته بشقاء البشرية فإنه سيجلب لبلاده نحساً وبخساً وشؤماً، وإذا أصر الرئيس الأمريكي على التمسك بسياسته كان من الحزم لأعضاء الكونجرس أن يرشدوا رئيسهم إلى ما فيه خير لأمريكا وللإنسانية كلها، كما هو واجب كل نظام ديمقراطي.

لقد حاول الرئيس بوش أن يقنع الكونجرس بأن التطرف الإسلامي والإسلام الراديكالي كما سماه يشكل خطراً لمصالح أمريكا، كما أشار إليه في صدد اقتراحه لتوفير الوقود، وأراد أن يثبت أنه يحارب لمصلحة أمريكا لمواجهة هذا الخطر، ولكنه خلال هذه المدة الطويلة التي حارب فيها التطرف الإسلامي واتخذ إجراءات صارمة، لتجفيف منابعه، لم يحاول أن يدرس الإسلام ليعرف ما يدعو إليه، وهل يشكل خطراً في الواقع، أم يدعو إلى أمن وسلام؟ وقد درس عدد كبير من غير المسلمين في أمريكا وأوربا الإسلام، وطالعوا القرآن الكريم، فوصلوا إلى حقيقة الإسلام، واعترفوا فضله، وأدركوا دوره في بناء المجتمع الصالح القائم على التسامح والتضامن والخدمة الإنسانية، والمسئولية في الحياة، وغلبة الفضيلة في الحياة، في السلوك والمعاملة.

لقد ساقت حربه على الإرهاب الإسلامي آلافاً من أصحاب الفكر السليم إلى دراسة الإسلام ثم الاعتراف بالإسلام واعتناقه، وهو أمر شائع معروف، ولكن المشكلة أن الرئيس الأمريكي جورج بوش كما وصف الخبراء طبيعته لا يعيد النظر في آرائه وأفكاره، ولا يتأثر مما يحدث في بيئته، وقد أدرك هذه الحقيقة عدد كبير من الباحثين الذين درسوا الإسلام بدون تحزب أو تحيز.

هناك جانب آخر للواقع وهو موقف الأوربيين والأمريكيين إزاء الإسلام يقوم على أساس الفهم الخاطئ الذي عممته الدعايات المغرضة ضد الإسلام منذ قرون، وإنه من أرجحيات العمل الإسلامي في أوربا وأمريكا أن يقوم العاملون للإسلام بالدعوة إلى الإسلام الصحيح وعرض الإسلام بأسلوب علمي معاصر، وقد بلغ عدد المسلمين في أمريكا أكثر من ستة ملايين وهم في فرنسا وبريطانيا وألمانيا يشكلون الأقلية الكبرى، وإن بقاءهم في جو الأمن والسلامة يرجع إلى إزالة سوء الفهم عن الإسلام، فإن قصر المسلمون في أداء هذه المسئولية فإن العواقب تكون أخطر مما هي الآن، وكما جاء في القرآن الكريم: ﴿ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾.

إن تاريخنا الإسلامي حافل بأمثلة تحول فيها الأعداء أصدقاء، وما إسلام التتار الذين دمروا بغداد وهددوا العالم كله، إلا حقيقة ثابتة من حقائق التاريخ.

إصدارات حديثـــة:

المعتصر من آثار السنن وإعلاء السنن

قلم التحرير

هذا كتاب ألفه فضيلة الشيخ محمد عارف جميل أحمد المباركفوري، خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ومدرس اللغة العربية بالجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند سابقاً.

يحتوي الكتاب على أدلة الأحكام الشرعية من الأحاديث الشريفة على غرار كتاب "آثار السنن" للمحدث النيموي الهندي، الذي يعتبر من المصادر الموثوق بها في الموضوع إلا أنه لم يستوعب جميع مسائل الكتب الفقهية على المذهب الحنفي، فكانت الحاجة ملحة إلى كتاب مختصر يشمل جميع أدلة الأحكام الحديثية باختصار لكي يتسنى منه الإفادة والاستفادة.

وكذلك كتاب "إعلاء السنن" للعلامة المحدث الشيخ ظفر أحمد التهانوي، وكان مستوعباً لأدلة الأحكام الحديثية على المذهب الحنفي حتى أحوج ذلك إلى اختصار.

فبدا لفضيلة الشيخ محمد عارف جميل أحمد أن يتناول هذين الكتابين باختصار مع تخريج أحاديثهما، وسمت همته إلى تأليف كتاب مختصر منهما في جزئين، فاعتصر منهما المسائل الفقهية من الأحكام الحديثية، وسماه: "المعتصر من آثار السنن وإعلاء السنن" وقد ظهر إلى الآن الجزء الأول الذي يشمل مسائل الطهارة وأركان العبادة من الصلاة والزكاة والصوم والحج، ومن النكاح والرضاع، والطلاق، وهو جدير بالاستفادة في أوساط المدارس الإسلامية ومراكز التحقيق والبحث والدراسة.

ونحن إذ نهنئ المؤلف الكريم على هذا العمل العلمي المفيد من

نواح شتى ، نرجو أن يتحف طلاب العلم وعلماء الحديث والفقه الإسلامي بإخراج الجزء الثاني من الكتاب في أقرب فرصة ، والله ولي التوفيق .

الآثار البينات في فضائل الآيات

أهدى إلينا الأخ الفاضل الأستاذ فيصل أحمد الندوي هذا الكتاب الذي ألفه في السنة الأخيرة للدراسات العليا بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة ندوة العلماء ، يوم كان طالباً فيها ، وذلك كبحث مفروض على كل طالب متخرج من الدراسات العليا ، لنيل شهادة الاختصاص في الشريعة الإسلامية .

وقد جاء البحث وافياً يشمل الآيات البينات في فضائل القرآن ، ويحتوي على جميع ما ألف من مؤلفات في هذا الموضوع بأقلام الأعلام ، والكتب التي وضعت في بيان فضائل الآيات .

وبما أن البحث كان جديراً بالنشر والطباعة تناوله المؤلف بإعادة النظر فيما كتبه ، وبالتحقيق والتعليق وتنقيح محتوياته ، وأعده للطباعة من دار الفيحاء بدمشق .

والكتاب يحتوي على مقدمة ، وبابين :

الباب الأول : في الكتب المؤلفة في فضائل القرآن وسوره .

الباب الثاني : يشتمل على الأحاديث الواردة في فضائل آيات القرآن .

ونحن إذ نذكر الكتاب ضمن الإصدارات الجديدة نثني على المؤلف مجهوده الذي بذله في وضع هذا الكتاب ، ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يجعله ذريعة لتلاوة كتاب الله والتأمل فيه ، والاستفادة من المعاني والمفاهيم العالية التي أودعها الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ الَّذِيْ لاَ يَأْتِيْهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ * وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ * تَنْزِيْلٌ مِّنْ حَكِيْمٍ حَمِيْدٍ ﴾ .

إلى رحمة الله تعالى :

رحيل الشيخ صالح علي الحمود الشايع إلى رحمة الله تعالى

قلم التحرير

توفي الرجل الخيّر الكبير الشيخ صالح علي الحمود الشايع في الأيام الأخيرة من شهر ذي القعدة ١٤٢٧هـ الموافق العشرة الثالثة الأخيرة من شهر ديسمبر ٢٠٠٦م ، في مقره بالكويت ، فقد كان متقدماً في السن على أصدقائه وزملائه ، وكان قد ناهز ٩٥ /عاماً عاشها في العمل الخيري والاجتماعي في الكويت وخارج الكويت ، وكان يقيم في الهند ، وفي مدينة بمبائ بالذات ، ويقضي معظم أوقاته هناك في الأعمال التجارية والخيرية .

أسرة الشايع في الكويت معروفة بأعمالها الخيرية ودعم المشاريع الإسلامية برحابة صدر ، فقد كان للراحل الكريم أوفر نصيب في الخير ، وله من الأيادي الجميلة ما يذكره الناس في كل مكان ، وكان له ذوق في الإنفاق في سبيل الله ، وخاصة في مجال التعليم والتربية .

كان متواضعاً يحب أصحاب الحاجات ويحل مشكلاتهم ، كما كان مجلسه موضع أنس لجميع الزوار ، وللأدباء والشعراء والعلماء والدعاة ، وكان ينزل عليه الضيوف من جميع أنحاء العالم فيتناولهم بالتكريم والضيافة الحسنة .

جزاه الله خيراً و تغمده بواسع رحمته و غفر له زلاته و أدخله فسيح جناته ، فإنه نعم المولى الغفور الرحيم .

الأستاذ حسن نظامي إلى رحمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى الأستاذ حسن نظامي الحسيني في اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة لعام ١٤٢٧هـ الموافق ٣/من شهر يناير ٢٠٠٧م، وذلك بعد نوبة قلبية ألمت به فجاءة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

كان الراحل الكريم الأستاذ حسن نظامي من أقرباء سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله) ، وكان يعيش في نفس

القرية مع أهله ، فقد كانت فيها دارة الشيخ علـم الله الحسني رحمـه الله ، حيث عمّرها الأسرة الحسنية ، وعلى رأسها إمام الهجرة والجهاد أحمد بن عرفان الشهيد رحمه الله الذي رفع لواء الجهاد لأول مرة ضد الإنجليز في الهند في القـرن الثالث عشر الهجري ، واستشهد في معركة بالاكوت التي قادها الإمـام المرحـوم ، وأثار بذلك روح الحرية والجهاد في الهند ضد الإنجليز المستعمر ، واستمرت الحرب إلى أن نالت الهند استقلالها وطُرد منها المستعمر من غير عودة .

إننا نتقدم بالتعازي إلى جميع أقرباء الراحـل الكريـم وأهلـه وذويـه ، و نبتهل إلى الله الكريم أن يتغمده بواسع رحمته ويغفر لـه زلاتـه ، وأدخلـه فسيح جناته ، ويلهم أهله وذويه الصبر والسلوان ، فإنه هو نعم المولى الغفور الرحيم .

حرم فضيلة الشيخ محبوب الرحمن الأزهري في ذمة الله تعالى

استأثرت رحمة الله تعالى بحرم فضيلة الشـيخ محبـوب الرحمـن الأزهـري ظهر يوم السبت ٢٩/من ذي الحجة ١٤٢٧هـ الموافق ٢٠/من شهر يناير ٢٠٠٧م ، فقد كانت الراحلة العزيزة على أهلها ، مصابة بشئ من الشلل ثـم تحـول ذلـك إلى يبوسة في بعض شرايين المـخ ، وفـور ذلـك أدخلـت في المستشـفى بإشـارة مـن الطبيب المعالج ، واستمر العلاج إلى نحـو مـدة أسـبوع في المستشـفى و لكـن لم يُكتب لهـا الشفاء و ارتحلت إلى رحمة الله تعالى ، مستجيبة نداء ربها الكريم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

فضيلة الشيخ محبوب الرحمن الأزهري من جيل العلمـاء القديـم وهـو أستاذ بجامعة ندوة العلماء ، وقد أربى على الثمانين ولكنـه نشـيط في الأعمـال التدريسية ، بل في جميع شئون الحياة ، وقد رزقه الله تعالى من الصبر على المصاب ما لم ير في أمثاله إلا نادراً ، وقد كان أحوج إلى معاونـة الراحلـة في ظـروف مـن الكبر وتقدم السن ، نرجو الله سـبحانه وتعـالى أن يجزيـه أحسـن الجـزاء على الصبر والاستقامة ، ويهيئ له من يعينه على إنجاز حاجاته عن ظهر الغيب .

خلفت الراحلة أسرة حافلة من البنـين والبنـات والأحفـاد والأقـارب ، بارك الله فيهم ، وغفر لها زلاتها ، وأكرمها بجنات ونعيم ، وألهـم الجميـع الصبر والسلوان ، فإن الله يحب الصابرين .

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم ! حفظه الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة ، نشكركم على ما تتابعون من قراءة : "البعث الإسلامي" ، وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة ، تصدر من ٥١/عاما بالاستمرار ، ويبتدئ بهذا العدد عامها الثاني والخمسون - والحمد لله - .

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً ، وبتكلفة باهظة ، وهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم ، وذلـك بتقديم دعم علمي ومادي منكم ، وببذل شئ من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم ، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول .

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك ، باسم : (ALBAAS-EL-ISLAMI) .

بالعنوان التالي :

مكتب : "البعث الإسلامي"
مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء - ص.ب ٩٣
لكناؤ (الهند)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم المخلص

سعيد الأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"
ص.ب ٩٣ - مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء - لكناؤ (الهند)